فقه الدعوة

في ضوء موقف جعفر أمام النجاشي رضي الله عنهما

دراسة دعوية تحليلية

الدكتور إسماعيل علي محمد

أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة - جامعة الأزهر

شروق

الألوكة

www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فقه الدعوة
في ضوء موقف
جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جميع
حقوق الطبع
محفوظة للمؤلف

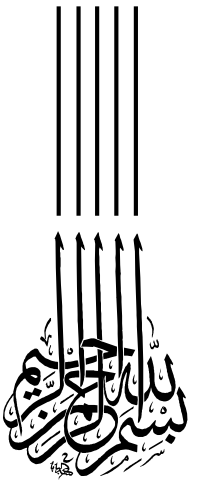

مؤسسة
شروق للترجمة والنشر

بطاقة الكتاب
الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

اسم الكتاب : فقه الدعوة في ضوء موقف جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي

اسم المؤلف : د. إسماعيل علي محمد

موضوع الكتاب : الدعوة الإسلامية

الناشر : مؤسسة شروق للترجمة والنشر

عدد الصفحات : ١٤٨

مقاس الكتاب : ١٧× ٢٤

عدد الملازم : ٩,٥

رقم الإيداع : ٢٠١٣/٣١٤٥

المنصورة – أمام مستشفى الطوارئ
ت : ٠٥٠ / ٢٢٥٢٨٦٠
shrook.mst@gmail.com

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فقـه الدعـوة

في ضـوء موقف جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي

(دراسة دعوية تحليلية)

أ.د/ إسماعيل علي محمد

أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة ـ جامعة الأزهر

مؤسسة شروق للترجمة والنشر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَىٰ:

(ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ
وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم
بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾)

سورة النحل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة الحسنى للمتقين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام الدعاة إلى صراط الله المستقيم، ورضي الله عن آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد:

فإن موقف "جعفر بن أبي طالب" وخُطبتَه أمام "النجاشيِّ"- رضي الله عنهما- في مواجهة رسولَيْ قريش، حين هاجر المسلمون إلى الحبشة هجرتهم الثانية[1]؛ لَهُو من المواقف الخالدة، التي تُعدّ- بحقٍّ- أحدَ المعالمِ البارزةِ في مسيرة الدعوةِ الإسلاميةِ عامةً، وفي عصر النبوة خاصةً، لِما تركه من بصمات نورانية مشرقة على الإسلام والمسلمين، سوف تظل محفورة في سجلّ الزمان، شاهدةً بعظمة هذا الدين وحيويته، وبعظمة رجال أفذاذ أطهار، صنعهم الإيمان؛ قد باعوا أنفسهم لله، ونذروا حياتهم لإعلاء كلمة الإسلام، وجعلوا أنفسهم فداءً لدعوة الحق، إلى أن انتقلوا في جوار ربٍّ كريم، غيرَ مبدِّلين ولا مضيِّعين، وكان في طليعة هؤلاء: الداعيةُ المجاهدُ "جعفر" الشهيد، ﷺ وأرضاه.

ولقد كنتُ منذ سنوات ـ ولا أزال ـ كثيرَ التأمّل في موقف "جعفر"

---

(١) كانت هجرة المسلمين إلى الحبشة مرتين: **الأولى**: في رجب سنة خمس من البعثة، وهي السنة الثانية من الجهر بالدعوة، فأقاموا شعبان وشهر رمضان، ثم بلَغهم أن قريشا أسلمت، فعاد منهم قوم وتخلف منهم قوم، فلما قَدِم الذين رجعوا إلى مكة وجدوا أن الأمر لم يتغير منه شيء، وأن أهل مكة لم يُسْلموا ـ كما أُشيع ـ ولم يكُفُّوا أذاهم عمن أسلم، بل إن إيذاء قريش للمسلمين قد اشتد، فلم يمكث أولئك الذين رجعوا طويلا، وقرروا ترك مكة والعودة مرة أخرى إلى الحبشة، **وكانت عوْدتُهم هذه هي الهجرة الثانية** . إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ١/ ٣٧ ـ ٣٨، بتصرف، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وخطبتِه أمام "النجاشيّ" رضي الله عنهما، دائمَ الإعجاب به، وقد لاحتْ لي بعد التدبر فيه دِلالاتٌ وعبرٌ كثيرة، ولم أجد ـ في حدود علمي ـ مَن قام بدراسةٍ حول هذا الموقف مِن منظور دعويٍّ، كما أن دراسة السيرة ـ عامة ـ بالمنهج الذي سِرْتُ عليه في هذا البحث محدودة، فتَرَجَّح في نفسي أن أقوم بدراسةٍ دعويةٍ تحليليةٍ لموقف "جعفر" المذكور وما تضمّنه من خطبته المظفّرة، ومحاوراته ومناظراته القوية، ذاتِ الحجة البالغة؛ دراسةٍ تعتمدُ على ذِكْرِ مضامينه ووقائعه، مِن خلال عَرْض أهمِّ الروايات الخاصة به، في ضوء المصادر الأصلية، ثم النظرِ في جزئياته وتفصيلاته، واستنباط ما يمكن استنباطُه من الفوائد والأهدافِ الدعويةِ التي يَنطوي عليها، لتكونَ بمثابة منارات هادية، ومعالمَ راشدة على طريق العمل للإسلام، والدعوة إلى الله تعالى، فتثمرَ فهما عميقا، وفقها صحيحا مُلْهِما؛ يرسُم للداعية نهجا سويا في الدعوة إلى الله تعالى، وفنِّ تحويل القلوب القاسية إلى مستودعات للإيمان والرحمة، وفي كيفية التعامل مع أمراض المجتمعات وإصلاح اعوجاجها وانحرافها، وكيفية التعامل مع الصديق والعدوّ، والوليّ والبعيد .. وهكذا.

وقد اشتملت هذه الدراسة ـ بعد المقدمة ـ على تمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

أما التمهيد فقد تضمّن ترجمةً لِنَجْميْ ذلك الموقف وعَلَمَيْه، وهما "جعفر بن أبي طالب"، و"أصْحَمَة النجاشيّ"، رضي الله عنهما .

وأما الفصل الأول فبعنوان «**المواجهة بين جعفر بن أبي طالب ورسولَيْ قريش أمام النجاشيّ**»، وقد تناولْتُ فيه السياقَ التاريخيَّ لموقف "جعفر"،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو الهجرة إلى الحبشة، وذِكْرَ الرسولَين اللذيْن أوفدَتْهما قريشٌ لاسترداد المسلمين وإرجاعهم إلى مكة، ثم ذكرتُ الرواياتِ التاريخيةَ التي تضمنت موقفَ "جعفر"، والمواجهةَ لرسولَيْ قريش أمام "النجاشيّ".

وأما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان «**ملامح الداعية الناجح كما تمثلت في شخصية جعفر**»، وقد ضمّنتُه الحديث عن أبرز صفات الداعية الناجح كما تحققتْ في شخصية "جعفر" في ضوء موقفه أمام "النجاشي"، فذكرْت منها: الإخلاصَ، والتوكلَ على الله، والجرأةَ في القيام بالدعوة إلى الله تعالى، والعلمَ، والحكمةَ، وعفّةَ اللسان، والترفّعَ عن سوء الخُلُق، والصبرَ، وتوافرَ المقومات الفطريةِ اللازمةِ لأداء المهمة الدعوية، والمهارة في فنون تبليغ الإسلام، وذاتيةَ الحركة والعملِ للدعوة.

ثم كان الفصل الثالث بعنوان «**أهمُّ ما ربحتْه الدعوة الإسلامية في الحبشة**»، وقد ذكرْت فيه أبرز المكاسب التي حققتها الدعوة إثْر موقف "جعفر" في الحبشة، وهي: فشلُ خطة قريش لإرجاع المهاجرين، وإيجادُ بيئة للمسلمين يَأْمَنون فيها على أنفسهم ودينِهم، ورِبْحُ "النجاشيّ" وضمُّه إلى صفّ الدعوة، وفتحُ آفاق إعلامية خارجية للدعوة، ثم إثباتُ أن المسلمين أصحابُ قضية عادلة.

وأما الفصل الرابع فكان بعنوان «**المستفاد من قصة "جعفر" للدعوة والدعاة**»، ضمّنتُه عددًا من الفوائد الهامة النافعة للدعوة الإسلامية والقائمين بها، وقد ذكرْتُ من هذه الفوائد ثمانية؛ أولها: ذاتية الإسلامِ ودعوتِه، وثانيها: أهمية الداعية وخطورةُ موقعه، وثالثها: ضرورة العمل لتحقيق الإعداد المتكامل للدعاة، ورابعها: أن الابتلاءات من سنن الله في

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الـدعوات وأصـحابِها، وخامـسها: خطـورة حـرب الكلمـة، وسادسـها: ضرورة التخطيط، وسابعها: أن على المؤسسات الدعويةِ أن تحسن اختيـار مَن يمثّلها ويتحدّث باسمها في المحافل المختلفة، وثامنها: عدم التفريط في العقيـدة أو التنازل عن الثـوابت.

وأما الخاتمة فقد تضمنَتْ إجمالاً للقضايا التي عالجتْها الدراسة، وعَرْضًا لخلاصتها.

هـذا؛ وإذا كـان مـن صـواب في هـذا العمـل المتواضـع فمـن فـضل الله وتوفيقه، وإن كان من قصور فهذا هو المعهود من عجز البشر، والكمالُ لله تعالى وحده، وأرجو المعذرة والتسديد.

وفي الختام أدعو الله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله صـالحا، ولوجهـه خالـصا، وأن يجعلـه ممـا ينفـع النـاس ويمكـث في الأرض، وأن يجعلنا من خدّام دينه ودعوته.

الفقير إلى عفو ربه

إسماعيل علي محمد

الأربعاء: ٩ من شوال ١٤٢٤هـ

٣ من ديسمبر ٢٠٠٣م

في: أبْها ـ السعودية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تمهيـــد
تعريف بجعفر بن أبي طالب والنجاشي
رضي الله عنهما

يجدر بنا أن نذكرَ في هذا التمهيد تعريفا بعَلَمَيْ ذلك الموقف ونَجْميْ قصته، وهما جعفرُ بنُ أبي طالب، وأصْحمةُ النجاشيُّ، رضي الله عنهما، ثم نشرعَ بعد ذلك في معالجة قضايا البحث، والله المستعان.

جعفر بن أبي طالب

نسَبُه

هو جعفر بنُ أبي طالب بنِ عبد المطلب بنِ هاشم، فهو ابن عمّ رسول الله ﷺ، وكان أكبرَ من أخيه "عليٍّ" بعشر سنين، وكان "عقيل" أسنَّ من "جعفر" بعشر سنين، وكان "طالبٌ" أسَنَّ من "عقيل" بعشر سنين(١).

إسلامه وهجرته

«أسلم "جعفر" قديما، وهاجر إلى الحبشة(٢)، وكانت له هناك مواقف

---

(١) البداية والنهاية للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير ٤/ ٢٥٥. مكتبة المعارف. بيروت.

(٢) يتكرر في السيرة اسم الحبشة وملك الحبشة والأحباش، والحبشة : اسم للأمة أُطلِق على أرضهم، وتسمى دولتهم "أثيوبيا"، وهي تضم أراضيَ إسلامية إلى جانب أرضهم، وأرض الحبشة هضبة مرتفعة غرب اليمن بينهما البحر، وعاصمتها أديس أبابا، ولهم صلات قديمة مع العرب، والحبشة نصارى غير أن الإسلام زحف على بلادهم من زمن بعيد، فأسلمت أطرافها من كل اتجاه، وبقيت الهضبة حول أديس أبابا متمسكة بشدة بالنصرانية، وقد تحوّلت أثيوبيا إلى جمهورية، وطُرِد النجاشي، ومن هذه الامبراطورية أقاليم أصبحت عربية، مثل أريتريا، وهي أرض تلي البحر الأحمر، تبدأ من مضيق باب المندب جنوبا إلى جنوب "طوكر" في السودان، ومن مدن هذا الإقليم : أسمرة العاصمة، ومُصوّع: الميناء الرئيسي، وكانت تسمى باضع، وإليها هاجر الصحابة في هجرة الحبشة. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية . عاتق بن غيث البلادي . ص ٩١ باختصار . دار مكة . مكة المكرمة . ط الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مشهورة، ومقامات محمودة، وأجوبة سديدة، وأحوال رشيدة»[١] .

وقد ذهب بعضُ كتّاب السير إلى أن هجرة "جعفر بن أبي طالب" رضي الله عنه إلى الحبشة كانت ضمن هجرة المسلمين الأولى إليها، وذهب بعضهم إلى أنها كانت ضمن الهجرة الثانية، وقد عرض الإمامُ ابنُ كثير الرأْيَيْن، ورجّح الأول، وهو أن "جعفرا" كان من المهاجرين الأوّلين، لكنه كان في زمرة ثانية من المهاجرين أوّلا، وهو المقدَّمُ عليهم، والمترجِم عنهم، عند "النجاشيِّ" وغيره[٢].

وقد كان الدافع وراء هجرة "جعفر" ومَن معه من المسلمين- رضي الله عنهم جميعا- إلى الحبشة هو الفرار بالدين، والرغبة في عبادة الله تعالى بعيدا عن أذى الكفار في مكة، واضطهادِهم لمن اتبع رسولَ الله ﷺ، وأسلم وجهه لله رب العالمين .

عن عُمَيْر بْن إِسْحَاقَ، قَالَ: قَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: يَا رَسُولَ اللهَّ ائْذَنْ لِي أَنْ آتِيَ أَرْضًا أَعْبُدُ اللهَّ بِهَا لَا أَخَافُ أَحَدًا حَتَّى أَمُوتَ، قَالَ: فَأَذِنَ لَهُ فَأَتَى النَّجَاشِيَّ[٣].

وقد بقِيَ "جعفر" والمسلمون في الحبشة حتى فَتْح خيبر في السنة السابعة من الهجرة، ثم رجعوا إلى المدينة، واستقبلهم الرسول ﷺ بالحفاوة

---

(١) البداية والنهاية ٤/ ٢٥٥.

(٢) السابق ٣/ ٦٧.

(٣) رواه البزار في مسنده ٤/ ١٥٣ رقم ١٣٢٥ (مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة)، وأبو يعلى في مسنده ١٣/ ٣٣٥ رقم ٧٣٥٢ (دار المأمون - دمشق)، والطبراني كما في "مجمع الزوائد" للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ٦/ ٢٧ ـ ٢٨. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والتكريم، وأعطاهم من غنائم خيبر، وكان هذا برضا المسلمين وطيب نفسٍ منهم .

عن أبي موسى ﷺ قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وَأَخَوَانِ لي أنا أصغرهم، أحدهما "أبو بُرْدَةَ" والآخر "أبو رُهْمٍ"، إما قال في بِضْعٍ وإما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومي، فَرَكِبْنَا سفينة فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إلى "النجاشي" بالحبشة، وَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أبي طالب وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ، فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بالإقامة فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قَدِمْنَا جميعا، فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حين افْتَتَحَ خَيْبَرَ ، فَأَسْهَمَ لنا ـ أو قال: فأعطانا منها ـ ، وما قَسَمَ لأحد غاب عن فتْح خيبرَ منها شيئا إلا لمن شهد معه، إلا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ قَسَمَ لهم معهم (١) .

ولم تكن الهجرةُ إلى الحبشة رحلةً سياحية، أو نزهةً ترفيهية، أو سَفَرا لعقْد صَفْقاتٍ تجارية؛ بل كانت غُربة محفوفةً بالمكاره، مَشُوبةً بالمنغِّصات، والهموم والمكدِّرات، ولو لم يكن فيها سوى الحرمان من مصاحبة رسول الله ﷺ، والتجافي عن الأهل والوطن، لكفى بذلك ألَما وكَدَرا، ولذلك استحقوا المنزلة الرفيعة بين المسلمين، وكان لهم أجْرُ هجرتين، كما أخبر بهذا رسول الله ﷺ .

عن أبي موسى ﷺ ـ يروي قصة خروجِهم إلى الحبشة، وعودتِهم منها ـ

---

(١) رواه البخاري في ك فرض الخمس . ب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين . رقم ٢٩٠٣، ومسلم في ك فضائل الصحابة . ب فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس . رقم ٤٥٥٨ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال: ... وكان أناس من الناس يقولون لنا ـ يعني لأهل السفينة ـ: سبقناكم بالهجرة، ودخلَت أسماء بنت عميس ـ وهي ممن قدم معنا ـ على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشيِّ فيمن هاجر، فدخل عمرُ على حفصةَ وأسماءُ عِندها، فقال عمرُ ـ حين رأى أسماء ـ: مَن هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمرُ: الحبشيّةُ هذه، البحْريّةُ هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبتْ وقالت: كلا والله! كنتم مع رسول الله ﷺ يُطعِم جائعَكم، ويعِظ جاهلَكم، وكنا في دارٍ أو في أرض البُعَداء البُغَضاء بالحبشة[1]، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ، وايم الله لا أَطعَم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكرَ ما قلتَ لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذَى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاء النبيُّ ﷺ قالت: يا نبيَّ الله! إن عمر قال كذا وكذا، قال: فما قلتِ له؟ قالت: قلتُ له كذا وكذا، قال: ليس بأحقَّ بي منكم، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدة، ولكم أنتم أهلَ السفينة هجرتان، قالت: فلقد رأيتُ أبا موسى وأصحابَ السفينة يأتونني أرسالا [2] يسألونني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيءٌ هم به أفرحُ ولا أعظمُ في أنفسهم مما قال

---

(١) قال القاضي عياض: "سُمُّوا بُعَداء لبُعد نَسَبهم من نَسب الْعَرَب، وبُغَضاء لاخْتِلَاف الدِّينَيْنِ". مشارق الأنوار على صحاح الآثار. القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى ٥٤٤هـ) ١/ ٩٦ . الناشر المكتبة العتيقة ودار التراث.

(٢) الرَّسَلُ ـ بِفَتْحَتَيْنِ ـ الْقَطِيعُ مِنْ الْإِبِلِ، وَالْجَمْعُ أَرْسَالٌ، مِثْلُ: سَبَبٍ وَأَسْبَابٍ، وَشُبِّهَ بِهِ النَّاسُ فَقِيلَ جَاؤوا أَرْسَالًا أَيْ جَمَاعَاتٍ مُتَتَابِعِينَ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ١/ ٢٢٦، المكتبة العلمية . بيروت .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لهم النبيُّ ﷺ، قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيتُ أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديثَ منِّي [١].

من فضائل جعفر رضي الله عنه

ولجعفر رضي الله عنه من المناقب والفضائل الكثير، ويكفي في ذكر فضائله ما رواه البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال لجعفر: «**أَشْبَهْتَ خَلْقِي وخُلُقِي**»[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا احْتَذَى النِّعَالَ وَلَا انْتَعَلَ، وَلَا رَكِبَ المطَايَا وَلَا رَكِبَ الْكُورَ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أَفْضَلُ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ[٣].

ولقد كان جعفر من المشهود لهم بالكرم، والعطف على المساكين، كثير الإحسان إليهم، حتى إنه كان يقال له: أبا المساكين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يُحِبُّ المسَاكِينَ، وَيَجْلِسُ إِلَيْهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ وَيُحَدِّثُونَهُ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَكْنِيهِ أَبَا المسَاكِينِ[٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- أيضا- قَالَ: كُنَّا نَدْعُو جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه أَبَا المسَاكِينِ، فَكُنَّا إِذَا أَتَيْنَاهُ قَرَّبَنَا إِلَيْهِ مَا حَضَرَ، فَأَتَيْنَاهُ يَوْمًا فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ شَيْئًا، فَأَخْرَجَ جَرَّةً مِنْ عَسَلٍ فَكَسَرَهَا، فَجَعَلْنَا نَلْعَقُ مِنْهَا [٥].

---

(٣) رواه البخاري في ك المغازي ب غزة خيبر . رقم ٤٢٣١ . ومسلم في ك فضائل الصحابة ب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس رقم ٢٥٠٣ . وأو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٢/ ٧٤ ـ ٧٥ . دار الكتاب العربي . بيروت . ط الرابعة ١٤٠٥هـ .

(١) رواه الترمذي في ك المناقب، ب مناقب جعفر بن أبي طالب، رقم ٣٧٦٥، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد من حديث عليّ، رقم ٨٥٩ .

(٢) رواه الترمذي في ك المناقب . ب مناقب جعفر بن أبي طالب رقم ٣٦٩٧، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وَالْكُورُ الرَّحْل .

(٣) رواه ابن ماجه في ك الزهد . ب مجالسة الفقراء رقم ٤١١٥ .

(٤) رواه الترمذي في ك المناقب . ب مناقب جعفر بن أبي طالب رقم ٣٧٠٠، وقال: هَذَا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال الشعبيّ: كان ابن عمر إذا سلّم على عبد الله بن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين(١).

وعن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما رسول الله ﷺ جالس وأسماء بنت عُميس قريبة إذ قال: «**يا أسماء هذا جعفر مع جبريل وميكائيل مَرَّ، فأخبَرَني أنه لقِي المشركين يوم كذا وكذا فسلَّم، فرُدِّي عليه السلام، وقال: إنه لقي المشركين فأصابه في مقاديمه ثلاث وسبعون، فأخذ اللواء بيده اليمنى فقُطِعت، ثم أخذ باليسرى فقُطِعت، قال: فعوّضني الله من يديّ جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل في الجنة، آكل من ثمارها**»(٢).

حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

(٥) سير أعلام النبلاء . تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ ١/ ٢١٥ . تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م . قال ابن حجر: قَوْله: (إِنَّ اِبْن عُمَر كَانَ إِذَا سَلَّمَ عَلَى اِبْن جَعْفَر) يَعْنِي عَبْد الله بْن جَعْفَر بْن أَبِي طَالِب، وَقَعَ فِي رِوَايَة الْإِسْمَاعِيلِيّ مِنْ طَرِيق هُشَيْم عَنْ إِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالِد قَالَ: قُلْنَا لِلشَّعْبِيِّ: كَانَ اِبْن جَعْفَر يُقَال لَهُ: اِبْن ذِي الْجَنَاحَيْنِ؟ قَالَ: نَعَمْ، رَأَيْت اِبْن عُمَر أَتَاهُ يَوْمًا أَوْ لَقِيَهُ فَقَالَ: السَّلام عَلَيْك يَا اِبْن ذِي الْجَنَاحَيْنِ : (السَّلام عَلَيْك يَا اِبْن ذِي الْجَنَاحَيْنِ) كَأَنَّهُ يُشِير إِلَى حَدِيث عَبْد الله بْن جَعْفَر قَالَ: قَالَ لِي رَسُول الله ﷺ: «**هَنِيئًا لَك أَبُوك يَطِير مَعَ الْمَلَائِكَة فِي السَّمَاء**" أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَن، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: "**رَأَيْت جَعْفَر بْن أَبِي طَالِب يَطِير مَعَ الْمَلَائِكَة**". أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ وَالْحَاكِم وَفِي إِسْنَاده ضَعْف، لَكِنْ لَهُ شَاهِد مِنْ حَدِيث عَلِيّ عِنْد اِبْن سَعْد، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: "**مَرَّ بِي جَعْفَر اللَّيْلَة فِي مَلأ مِنْ الْمَلَائِكَة وَهُوَ مُخَضَّب الْجَنَاحَيْنِ بِالدَّم**". أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ، وَالْحَاكِم بِإِسْنَادٍ عَلَى شَرْط مُسْلِم، وَأَخْرَجَ أَيْضًا هُوَ وَالطَّبَرَانِيُّ عَنْ اِبْن عَبَّاس مَرْفُوعًا "**دَخَلْت الْبَارِحَة الْجَنَّة فَرَأَيْت فِيهَا جَعْفَرًا يَطِير مَعَ الْمَلَائِكَة**"، وَفِي طَرِيق أُخْرَى عَنْهُ "**أَنَّ جَعْفَرًا يَطِير مَعَ جِبْرِيل وَمِيكَائِيل لَهُ جَنَاحَانِ عَوَّضَهُ اللَّهُ مِنْ يَدَيْهِ**" وَإِسْنَاد هَذِهِ جَيِّد، وَطَرِيق أَبِي هُرَيْرَة فِي الثَّانِيَة قَوِيٌّ إِسْنَادُهُ عَلَى شَرْط مُسْلِم، وَقَدْ ادَّعَى السُّهَيْلِيّ أَنَّ الَّذِي يَتَبَادَر مِنْ ذِكْر الْجَنَاحَيْنِ وَالطَّيَرَان أَنَّهُمَا كَجَنَاحَيْ الطَّائِر لَهُمَا رِيش، وَلَيْسَ كَذَلِكَ أ. هـ.

(١) رواه الطبراني ، كما في مجمع الزوائد للهيثميّ ٩/ ٢٠٦، سير أعلام النبلاء ١/ ٢١١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لجعفر بن أبي طالب جناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة**»(١).

ولقد أثنى عليه رسول الله ﷺ خيرا، ودعا الله أن يحفظ ذريته من بعده، فما أكرَمه من ثناء، وما أطيبه من دعاء.

عن عامر قال: أرسل النبيُّ ﷺ إلى امرأة جعفر بن أبي طالب أنِ ابعثي إليَّ ببني جعفر، فأُتِيَ بهم، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم إن جعفرا قدْ قدّم إليك أحسن الثواب، فأَخْلِفْه في ذريته بخيرِ ما خَلَفتَ عبدا من عبادك الصالحين**»(٢).

جهاده واستشهاده

ولقد كانت حياة "جعفر" رضي الله عنه حافلة بالجهاد في سبيل الله، والعمل الدؤوب من أجل التمكين لدين الله في الأرض، وكسر شوكة الطواغيت الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا، ويمنعون من وصول دعوة الحق إلى الخلق.

وفي السنة التالية لعودة "جعفر" من الحبشة انتدب رسول الله ﷺ الناس لملاقاة الروم، فكان "جعفر" من أوائل المجيبين لنداء الجهاد، وخرج الجيش في السنة الثامنة للهجرة، وكانت وقعة مؤتة، التي عيَّن الرسول ﷺ فيها جعفرا أميرا إذا استشهد القائد "زيد بن حارثة"، وهذا ما حدث، ثم استشهد جعفر من بعده، ومن بعدهما جاء ابن رواحة حتى استشهد أيضا، رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(٢) الطبقات الكبرى. محمد بن سعد بن منيع البصري ٤/ ٣٩. دار صادر. بيروت.

(١) رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب فضائل الصحابة ٢/ ٨٨٩ رقم ١٦٩٠. تحقيق وصيّ الله محمد عباس. مؤسسة الرسالة. بيروت ط الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد أبلى بلاء حسنا، وقاتل مُقْبِلا غيرَ مُدْبِر، حتى لقِيَ ربَّه شهيدا.

قال ابن كثير: «ولما بعثه إلى مؤتة جُعِل في الإمرة مُصَلِّيًا[(١)]، أي نائبا لزيد ابن حارثة، ولما قُتل وجدوا فيه بضعا وتسعين ما بين ضربةٍ بسيف، وطعنةٍ برمح، ورمْيةٍ بسهم، وهو في ذلك كلِّه مُقْبل غيرُ مُدْبِر، وكانت قد طُعِنت يده اليمنى ثم اليسرى، وهو ممسك للواء، فلما فقدهما احتضنه حتى قُتِل وهو كذلك، فيقال إن رجلا من الروم ضربه بسيف فقطعه باثنتين، رضي الله عن جعفر ولعَن قاتلَه.

وقد أخبر عنه رسول الله ﷺ بأنه شهيد، فهو مِمّن يُقطع له بالجنة»[(٢)].

عن "أبي قَتَادَةَ" فَارِسِ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ جَيْشَ الْأُمَرَاءِ وَقَالَ: عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فجَعْفَرٌ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فعَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ، الْأَنْصَارِيُّ .

فَوَثَبَ جَعْفَرٌ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ الله وَأُمِّي؛ مَا كُنْتُ أَرْهَبُ أَنْ تَسْتَعْمِلَ عَلَيَّ زَيْدًا، قَالَ: امْضُوا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ، قَالَ: فَانْطَلَقَ الْجَيْشُ، فَلَبِثُوا مَا شَاءَ الله.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نَابَ خَيْرٌ أَوْ ثَابَ خَيْرٌ ـ شَكَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ـ أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي؟

إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا حَتَّى لَقُوا الْعَدُوَّ، فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ،

---

(٢) صَلَّى الفرَسُ في السِّباق : جاء مُصَلِّيًا، وهو الثاني في السِّباق. والمُصَلِّي مِن خيْل السباق: الذي يتلو السابق، ويُستعار للإنسان إذا كان تاليا للأول في أيِّ عمل كان . المعجم الوسيط. ص ٥٤٦ ـ ٥٤٧ . قام بإخراجه د/ إبراهيم أنيس وآخرون . مجمع اللغة العربية . القاهرة .

(١) البداية والنهاية ٤/ ٢٥٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّى أُصِيبَ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ الْأُمَرَاءِ هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُصْبُعَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ فَانْصُرْهُ،- وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَرَّةً فَانْتَصِرْ بِهِ- فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ خَالِدٌ سَيْفَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: انْفِرُوا فَأَمِدُّوا إِخْوَانَكُمْ، وَلَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ، فَنَفَرَ النَّاسُ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ مُشَاةً وَرُكْبَانًا[1].

قال ابن كثير: «قُتِل وعمره ثلاثٌ وثلاثون سنة، وقال ابن الأثير: كان عمره يوم قتِل إحدى وأربعين، قال: وقيل غير ذلك، قلت: وعلى ما قيل إنه كان أسنّ من عليٍّ بعشر سنين؛ يقتضي أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة، لأن عليًّا أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وهاجر وعمره إحدى وعشرين سنة، ويومُ مؤتة كان سنة ثمان من الهجرة، والله أعلم» [2].

رضي الله عن جعفر، وعن سائر الصحابة، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

(١) رواه أحمد في المسند. مسند الأنصار. رقم ٢١٥٠٩.

(٢) البداية والنهاية ٤/ ٢٥٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النجـــاشي

التعريف به

قال الإمام ابن كثير: وفي بعض الروايات تسميته أَصْحَمة، وفي رواية مَصْحمة، وهو أصحمة بن بحر، وكان عبدا صالحا، لبيبا زكيًّا، وكان عادلا عالما ﷺ وأرضاه، وقال يونس عن ابن اسحاق: اسمُ النجاشيِّ: مصحمة، وفي نسخة صَحّحها البيهقيُّ: أصحم، وهو بالعربية عطية، قال: وإنما النجاشيّ اسم المِلك، كقولك كسرى هرقل، قلت: كذا، ولعله يريد به قيصر، فإنه عَلَمٌ لكل مَن ملَك الشام مع الجزيرة مِن بلاد الروم، وكسرى علَم على مَن ملَك الفرس، وفرعون علَم لمن ملَك مصر كافة، والمقوقس لمن ملَك الإسكندرية، وتُبَّع لمن ملَك اليمن والشِّحْر [بكسر أوله وإسكان الحاء المهملة]، والنجاشيُّ لمن ملَك الحبشة، وبطليموس لمن ملَك اليونان، وقيل الهند، وخاقان لمن ملَك التُّرك (١).

وهو «معدود في الصحابة رضي الله عنهم، وكان ممّن حسُن إسلامُه ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعيٌّ مِن وجه، صاحبٌ مِن وجه»(٢).

قصة توليه الحبشة

وكان لتولية النجاشيِّ مُلْكَ الحبشة قصّة، ذكرَتْها أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها، نوردها هنا ـ كما رواها "ابن إسحاق" رحمه الله ـ فيما يلي:

قال ابن إسحاق: قال الزهري: فحدّثتُ عروة بن الزبير بحديث أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ [بقصة النجاشي]،

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ٧٧ ـ ٧٨ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٢٨ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فقال: هل تدري ما قوله: ما أخذ الله مني الرِّشوةَ حين ردَّ عليّ مُلْكِي، وما أطاع الناسَ فيَّ، فأطيع الناس فيه؟(١). قال: قلت: لا؛ قال: فإن عائشةَ أمَّ المؤمنين حدثتْني أنّ أباه كان ملكَ قومه، ولم يكن له ولد إلا النجاشيّ، وكان للنجاشيّ عمٌّ، له من صلبه اثنا عشر رجلا، وكانوا أهلَ بيتِ مملكة الحبشة، فقالت الحبشة بينها: لو أنّا قتلنا أبا النجاشي وملّكْنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، وإنّ لأخيه مِن صلبه اثنيْ عشر رجلا، فتوارثوا مُلْكَه من بعده، بقيت الحبشة بعده دهرا، فعدَوا على أبي النجاشي فقتلوه، وملّكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حينا .

ونشأ النجاشيُّ مع عمّه، وكان لبيبا حازما من الرجال، فغلب على أمْر عمِّه، ونزل منه بكل منزلة، فلما رأت الحبشةُ مكانَه منه قالت بينها: والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمِّه، وإنا لنتخوف أن يُملِّكه علينا، وإن ملَّكه علينا ليقتلنا أجمعين، لقد عرف أنا نحن قتلْنا أباه .

فمشوا إلى عمه فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى، وإما أن تُخرجه من بين أظهرنا، فإنا قد خفناه على أنفسنا؛ قال: ويلكم! قتلتم أباه بالأمس، وأقتله اليوم! بل أُخرجه من بلادكم . قالت: فخرجوا به إلى السوق فباعوه من رجل مِن التجار بست مئة درهم؛ فقذفه في سفينة فانطلق به، حتى إذا كان العشيُّ من ذلك اليوم، هاجت سحابة من سحاب الخريف، فخرج عمُّه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة فقتلتْه. قالت: ففزِعت الحبشة إلى ولده، فإذا هو مُحمَّق، ليس في ولده خير، فمَرِج على الحبشة أمرُهم.

---

(١) قال النجاشيُّ هذا الكلامَ لعمرو بن العاص، حين كلَّمه في أمر المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، وطلب منه أن يردهم إلى قريش .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك، قال بعضهم لبعض: تعلَّموا والله أن مَلِككم الذي لا يقيم أمرَكم غيرُه لَلَّذي بِعْتم غَدْوةً، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدرِكوه الآن. قالت: فخرجوا في طلبِه، وطلَبِ الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه، فأخذوه منه؛ ثم جاؤوا به، فعقدوا عليه التاج، وأقعدوه على سرير الملك، فملَّكوه.

فجاءهم التاجر الذي كانوا باعوه منه، فقال: إما أن تعطوني مالي، وإما أن أكلِّمه في ذلك؟ فقالوا: لا نعطيك شيئا، قال: إذن والله أكلِّمه؛ قالوا: فدونك وإيَّاه. قالت: فجاءه فجلس بين يديه، فقال: أيها الملك، ابتعتُ غلاما من قوم بالسوق بست مئة درهم، فأسْلَموا إليّ غلامي وأخذوا دَراهمي حتى إذا سِرْتُ بغلامي أدْرَكوني فأخذوا غلامي، ومنعوني دراهمي. قالت: فقال لهم النجاشيّ: لَتُعْطُنَّه دراهمَه أو ليضعنّ غلامُه يدَه في يده، فلْيذهبنّ به حيث شاء؛ قالوا: بل نعطيه دراهمَه. قالت: فلذلك يقول: ما أخذ الله منِّي رِشوةً حين ردّ عليّ مُلْكِي، فآخذ الرِّشوة فيه، وما أطاع الناسَ فيّ فأُطيع الناسَ فيه. قالت: وكان ذلك أوّل ما خُبِر من صلابته في دينه، وعَدْلِه في حكمه(١).

إسلامه وتقدير النبي ـ ﷺ ـ له

ولقد أسلم النجاشيُّ وجهَه لله رب العالمين، وشهِد شهادة الحق، وآمن برسولِ الله محمدٍ ﷺ، وحسُن إسلامُه، وكان كريما مع رسول الله ﷺ، ومع أصحابه الذين هاجروا إلى الحبشة، وقد حفِظ له النبيُّ ﷺ هذا

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٣٩ – ٣٤٠ . تحقيق مصطفى السقا وآخرَيْن. مؤسسة علوم القرآن. دمشق .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المعروفَ، وقدّر له ذلك الصنيعَ الجميل.

عن أبي أمامة قال: قَدِم وفْدُ النجاشيِّ على النبي ﷺ، فقام يَخدُمهم، فقال أصحابُه: نحن نكفيك، فقال: «إنهم كانوا لأصحابنا مُكْرِمين، وإنّي أحب أن أكافئهم»(١).

أثر إسلام النجاشيِّ في الدعوة وأهلها

ولم يكن إسلامُ النجاشيّ رضي الله عنه بالأمر الهيّن، أو الحدث الذي يمرُّ مَرّ الكرام؛ بل كان ذا شأن عظيم، وفوائدَ جليلةٍ للدعوة الإسلامية وأهلِها.

إنه كان رِبْحا لنصيرٍ قويٍّ ومخلصٍ للدعوة، حريصٍ كلَّ الحرص على مصلحة الإسلام والمسلمين، ومتيقِّظٍ لأيِّ خطرٍ أو مكروهٍ قد يصيب إخوانَه في الدين، فيعملُ على دَفْعه ورَدِّه عنهم، بالإضافة إلى أن مَنْصِبَه باعتباره حاكما يتربَّع على قمة هرم السُّلْطة التنفيذية وغيرها من السُّلْطات يمكِّنه من معاقبة مَن يؤذي المسلمين أو يسيء إليهم.

ولا شك في أنّ إسلام النجاشيّ رضي الله عنه قد أدخل السرور على نفوس المسلمين في الحبشة، ورفع من معنويّاتهم، وزاد من إيمانهم ويقينهم في دينهم، وثباتهم على الحق الذي ضحَّوْا من أجله، وتركوا ديارهم في سبيله، وكذلك رفع من معنويات إخوانهم في مكة، وأدخل الفرح عليهم، وشدّ من أزرهم في الثبات على الإسلام ضدّ البطش والطغيان، وفي مقابل ذلك فإنه قد أدخل الغمّ والحُزن على نفوس الكفار وأغاظهم،

---

(١) رواه الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٣٠٧ . تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي . دار الكتب العلمية . بيروت . ط الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وحطَّ مِن معنويّاتهم، وقد عاد "عمروٌ بنُ العاص" رسولُ قريش نفسُه ـ فيما يبدو ـ مُحْبَطًا، حيث جاء في بعض الروايات أنه: «لّما قدِم عمرو بن العاص مِن أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرج إليهم، فقالوا: ما شأنه! ما لَه لا يخرج؟! فقال عمرو: إنّ "أَصْحَمَةَ" يزعم أنّ صاحبكم نبيّ»(١).

من فضائل النجاشي

ومن محاسن النجاشي وفضائله؛ أن "أمَّ حبيبة رملةَ بنتَ أبي سفيانَ بنِ حربٍ الأمويةَ" أمَّ المؤمنين أسلمت مع زوجها عبيدِ الله بن جحش الأَسديِّ قديما، فهاجر بها زوجُها، فانملس (٢) بها إلى أرض الحبشة، فولدت له حبيبةَ ربيبةَ النبي ﷺ، ثم إنه أدرَكَه الشقاءُ، فأعجبه دينُ النصرانية فتنصّر، فلم يَنْشَب (٣) أن مات بالحبشة، فلما وَفَتِ العِدَّةُ بعث رسول الله ﷺ يخطبها، فأجابت، فنهض في ذلك النجاشيّ، وشهد زواجها بالنبي ﷺ، وأعطاها الصداقَ عن النبي ﷺ مِن عنده أربعَ مئةِ دينار، فحصل لها شيء لم يحصل لغيرها من أمهات المؤمنين، ثم جهزها النجاشيّ(٤).

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٣٠٧ .

(٢) مَلَس فلانٌ مَلْسا: ذهب ذهابا سريعا، أو ذهابا سهلا رفيقا. انملس وامَّلَس الشيءُ: انقبض، ومِن الأمرِ: أفْلتَ، ويقال: انملس فلان مِن يدي. المعجم الوسيط. ص ٩٢٢.

(٣) أيْ : لمْ يلبَث . وفي المعجم الوسيط [٢/ ٩٦٠] : ما نَشِب أن قال كذا : ما لبث.

(٤) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٤١ . وكَانَ الَّذِي وَفَدَ عَلَى النَّجَاشِيِّ بِخِطْبَتِهَا: عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ الضمري ـ فِيمَا نَقَلَهُ الوَاقِدِيُّ بِإِسْنَادٍ مُرْسَل ـ ثُمَّ قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ، عَنْ عَاصِمِ بنِ عُمَرَ بنِ قَتَادَةَ. وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبَّدِ العَزِيْزِ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالاَ: كَانَ الَّذِي زَوَّجَهَا، وَخَطَبَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ: خَالِدُ بنُ سَعِيْدِ بنِ العَاصِ الأُمَوِيُّ، وَكَانَ عُمُرُهَا لَمَّا قَدِمَتِ المَدِيْنَةَ بِضْعاً وَثَلاَثِيْنَ سَنَةً (المصدر السابق، نفس الموضع) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقيل: بنى بها رسول الله ﷺ سنة ست، وقال خليفة: دخل بها سنة سبع من الهجرة [١] .

غير أن من محاسن النجاشيّ وفضائله التي تركت آثارا طيبة في مسيرة الدعوة الإسلامية؛ تلك الوقفةَ العادلةَ المنصفةَ التي وقفها ضدّ خطة قريش وسعيِها لإعادة المسلمين من الحبشة إلى مكة، لفتنتهم في دينهم، وإلحاقِ الأذى بهم.

لقد رفض النجاشيّ تسليم المهاجرين من المسلمين، كما ردّ هدية ـ أو بالأحرى رِشوة ـ قريش، وأخرج رسوليْها اللذيْن أوفدَتْهما لتلك المهمة القذرة مقبوحَيْن، وأعلن تأمين المسلمين في بلاده، وقرر إنزال عقوبة مالية بمن يسيء إليهم بالسب أو الشتم، أو أيّ إيذاء بطريقة ما، حيث قال:

«اذهبوا فأنتم شُيُومٌ بأرضي ـ والشُّيوم: الآمنون ـ مَن سبّكُم غَرِم، ثم قال: مَن سَبَّكُم غَرِم ثم قال: مَن سَبَّكُم غَرِم، ما أُحِبُّ أنّ لي دَبْراً مِن ذهب، وأني آذيتُ رجلا منكم ـ قال ابن هشام: ويُقال دَبْرَى من ذهب[٢]، ويُقال: فأنتم سيوم، والدَّبْر (بلسان الحبشة): الجبل ـ رُدُّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ عليَّ مُلْكِي، فآخذ الرشوةَ فيه، وما أطاع الناسَ فيّ فأطيعهم فيه، قالت: فخرجا مِن عنده مَقْبوحَيْن مردودا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير

---

(5) السابق ١/ ٤٤٣ .

(١) ذكر ابن الأثير أن معنى (دَبْرَى) ـ بالقصر ـ : اسم جبل . النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ٢/ ٩٩، تحقيق طاهر أحمد الزواوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دار، مع خير جار » (١) .

وفي رواية أخرى أنه قال: «مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نجد في الإنجيل، وإنه الرسول الذي بَشّر به عيسى بن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحملُ نعليه وأوضِّئه، وأمَر بهدية الآخرَيْن فرُدّت إليهما» (٢).

بل جاء في بعض الروايات أنه قال: «مَنْ نَظَر إِلَى هَؤُلاءِ الرَّهْطِ نَظْرَةً يُؤْذِيهِمْ بِهَا فَقَدْ غَرِمَ»(٣).

ولا عجب أن يحدث هذا من النجاشي ؛ فلقد نعته النبي ﷺ بأنه لا يُظلَم عنده أحد، كما جاء عند ابن إسحاق أن النبي ﷺ قال للمسلمين: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنّ بها مَلِكا لا يُظلَم عنده أحد، وهي أرض صِدق، حتى يجعل الله لكم فرَجا مما أنتم فيه »، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفرارا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام(٤).

وقد كانت تلك الوقفةُ من جانب النجاشيّ والتي أدت إلى إفشال تلك الخطة النكراء نجاحا عظيما للإسلام والمسلمين حينذاك، حيث إن رجوع

---

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٨، ورواه أحمد في المسند . رقم ١٧٤٢ .

(1) رواه أحمد في المسند . رقم ٤٣٨٦ (موسوعة شركة حرف)، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٩٨، وابن سيد الناس بسنده في عيون الأثر ١/ ٢١٢ ـ ٢١٣ . مكتبة التراث بالمدينة المنورة . ط الأولى ١٤١٣هـ ١٩٨٢م . وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٦٩، وقال: وهذا إسناد جيد قوي، وسياق حسن .

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير، الحافظ يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، ص ١٣٣، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة . ط الثانية ١٤٠٣هـ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المسلمين إلى مكة ـ لو نجحَتْ قريش في تحقيقه ـ معناه تعرُّضُ المسلمين فيها للفتنة الشديدة، والمحنةِ القاسيةِ في دينهم، بِيَد الكفار الذين لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة، وخاصة أنه كانت هناك تجارِب سابقة، وممارسات رهيبة، وفظائع ارتكبها كفار قريش بحق من أسلموا، بغية صدِّهم عن الإسلام، وردِّهم إلى عبادة الأصنام، وهذه الممارسات لم تكن مقصورة على فئة العبيد والضعفاء فقط، بل طالت الجميع، حتى الشرفاء كأبي بكر ﷺ، ومِن قَبْله سيّدُ الخلق ﷺ.

وكُتُبُ السيرة مملوءة بصور فظيعة للتعذيب الوحشيّ الذي وقع على المسلمين في مكة، لا لشيء إلا لأنهم قالوا ربنا الله، بل كانت هناك أُسَرٌ بكاملها تُسام سوءَ العذاب، مثل عمّار بن ياسر، وأبيه، وأمِّه سمية، وأخيه عبدِ الله، وقد كان مِن نتيجة هذا أن مات الأب من شدة التعذيب، وأمْسَتِ الأمُّ شهيدة بيد عدوّ الله "أبي جهل" لعنه الله(١)، وغيرهم كثير من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

خروج الحبشة عليه

وقد تعرّض النجاشيُّ لحادثةٍ كادت أن تعصف بمُلكه، حيث خرج عليه بعض الناس، وحاول أن ينتزعه من الحُكْم والمُلك، وكانت قلوب المسلمين المهاجرين إلى الحبشة معه في هذه المحنة، وأخذوا يدعون الله تعالى بأن ينصره، ويخذل عدوّه، ويمكِّن له، ثم انجلت الكربة، وأزال الله

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد. محمد بن يوسف الصالحي الشامي ٢/ ٣٦٠. تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض. دار الكتب العلمية. بيروت. ط الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الغمة، ونصر النجاشيَّ، ودحر خصمَه.

عـن أم سـلمة رضي الله عنهـا ـ في معـرض حـديثها عـن ردِّ النجـاشيِّ لرسوليْ قريش اللذيْن جاءا لإرجاع المسلمين إلى مكة مقْبـوحَيْن خـائبَيْن ـ قالت: فوالله إنّا لَعلَى ذلك إذْ نـزل بـه رجـل مـن الحبشة ينازعـه في ملكـه، قالت: فوالله ما علمْتُنا حَزِنّا حُزْنا قطُّ كان أشدَّ علينا من حُزْنٍ حَزِنّـاه عنـد ذلك، تخوَّفا أن يظهر ذلك الرجلُ على النجاشيّ، فيأتيَ رجلٌ لا يعرف مِـن حقنا ما كان النجـاشيّ يعـرف منـه . قالـت: وسـار إليـه النجـاشيّ، وبينهما عرض النِّيل، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَنْ رجلٌ يخـرج حتـى يحـضر وقيعة القوم ثم يأتيَنا بالخبر؟ قالت: فقال الـزبير ابـن العـوام: أنـا . قـالوا: فأنت . وكان مِن أحدث القـوم سِنًّا. قالـت: فنفخـوا لـه قِرْبـة فجعلهـا في صدره، ثم سبَح عليها حتى خرج إلى ناحية النِّيـل التي بهـا ملتقـى القـوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فدعونا الله تعالى للنجاشيّ بـالظهور عـلى عدوّه، والتمكينِ له في بلاده. قالت: فوالله إنا لعلى ذلك متوقِّعـون لمـا هـو كائن، إذْ طلع الزبير وهو يسعى، فلَمَع بثوبه[1] وهـو يقـول: ألا أبـشروا، فقد ظفِر النجاشيُّ، وأهلك اللهُ عدوَّه، ومكّن له في بلاده. قالت: فوالله مـا علمْتُنـا فَرِحْنا فَرْحة قطّ مثلَهـا. قالـت: ورجـع النجـاشيّ، وقـد أهلـك اللهُ عدوَّه، ومكّن له في بلاده، واستوسق[2] عليه أمْرُ الحبشة، فكنـا عنـده في خير مَنْزِل حتى قدمْنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة [3] .

---

(١) لَمع بثوبه وألْمع به: إذا رفعه وحرّكه ليراه غيرُه فيجيء إليه. السيرة النبوية ١/ ٣٣٨، مِن حواشي المحققين.

(٢) استوسق : تتابع واستمر واجتمع . السابق ؛ نفس الموضع .

(٣) السيرة النبوية ١/ ٣٣٨ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شغفه بسماع القرآن الكريم

ولقد كان النجاشيُّ ﷺ مُرهَف الحسّ، زكيَّ النفس؛ حيث طلب من جعفر ﷺ أن يقرأ عليه مزيدا من كلام الله عز وجل.

جاء في مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير ﷺ :

فقال النجاشيّ: أيُّكم أدْرَسُ للكتاب الذي أُنزِل على نبيكم ؟ قالوا: جعفر، فقرأ عليهم جعفر سورة مريم، فلما سمعها عرَف أنه الحقّ، وقال النجاشي: **زدنا من الكلام الطيب**، ثم قرأ عليه سورة أخرى، فلما سمعها عرف الحق، وقال: صدقْتُم، وصدقَ نبيُّكم ﷺ، أنتم والله صدِّيقون، اُمكُثوا على اسم الله وبركته آمنين ممنوعين، وأُلقِي عليهم المحبة من النجاشيّ(١).

تمسُّكه بإسلامه وحرصه على حماية إخوانه المسلمين

ولم يكن إسلامُ النجاشيِّ، واعتقادُه عقيدةَ الحقّ، التي جاء بها الرسول محمد ﷺ؛ طريقُه مفروشٌ بالورود، بل كان محفوفا بالمصاعب والابتلاءات، التي كان يمكن أن يفقد معها مُلْكَه، ولكنّ الرجل كان مثالا للمؤمن الذي خاف مقام ربه، وتوكّل على مولاه، وآثر الباقية على الفانية.

قال ابن إسحاق: وحدثني جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: اجتمعتِ الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك قد فارقْتَ ديننا، وخرجوا عليه. فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيأ لهم سُفُنا، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هُزِمْتُ فامضوا فالحقوا حيث شئتم، وإن ظفِرتُ فاثبتوا. ثم عمَد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبدُه ورسوله، ويشهد أن عيسى ابنَ

---

(١) مغازي رسول الله ﷺ . لعروة بن الزبير . ص ١١١ــ ١١٣ . تحقيق د/ محمد مصطفى الأعظمي. مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض. ط الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مريم عبدُه ورسوله، وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعله في قَبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة وصفُّوا له، فقال: يا معشر الحبشة، ألستُ أحقَّ الناس بكم؟ قالوا: بلى، قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقْتَ دينَنَا، وزعمْتَ أن عيسى عبدٌ، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله، فقال النجاشيُّ- ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى ابنَ مريم لم يزد على هذا شيئا، وإنما يعني ما كتَبَ، فرضوا وانصرفوا عنه [١].

فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فلما مات النجاشيُّ صلى عليه واستغفر له[٢].

وواضح من هذه الحادثة أن النجاشيَّ رضي الله عنه، ما كان لينسى إخوانه المسلمين الذين هم في ضيافته، حتى في أحلك الظروف، وأقسى الأزمات، وهذا مما يدل على كريم خلقه، وحسن إسلامه، وتقديره لروابط الأخوة الإيمانية، رضي الله عنه.

وفـاته

ولقد بقي النجاشيُّ مستمسكا بإسلامه، معتصما بعقيدته وإيمانه، مثالا

---

(١) قال السهيلي ـ تعليقا على ما فعله النجاشي، من الكتاب الذي كتبه وجعله بين صدره وقَبَائه، ومقالته للقوم: أشهد أن عيسى لم يزد على هذا ـ: وفيه من الفقه أنه لا ينبغي للمؤمن أن يكذب كذبا صراحا، ولا أن يعطي بلسانه الكفر، وإن أُكره ما أمكنه الحيلة، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب، وكذلك قال أهل العلم في قول النبي عليه السلام: ليس بالكاذب مَن أصلح بين اثنين، فقال خيرا . روته أم كلثوم بنت عقبة . قالوا : معناه أن يُعَرِّض، ولا يُفصِح بالكذب، مثل أن يقول: سمعته يستغفر لك، ويدعو لك، وهو يعني أنه سمعه يستغفر للمسلمين، ويدعو لهم ؛ لأن الآخَر مِن جملة المسلمين، ويحتال في التعريض ما استطاع، ولا يختلق الكذب اختلاقا . الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام . للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي ٣/ ٢٦١ – ٢٦٢ . تحقيق عبد الرحمن الوكيل . دار الكتب الحديثة . القاهرة .

(2) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٤٠ – ٣٤١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للمسلم الذي صدق ما عاهد اللهَ عليه، حتى لقي ربه غيرَ مبدِّلٍ ولا مضَيِّع، وفارَقَ دار البلاء والفناء، إلى دار الخلود والبقاء راضيا مرضِيًّا، في العام التاسع من الهجرة، وقد نعاه الحبيب محمد ﷺ لأصحابه نعيا رقيقا ودودا مُؤثِّرا، فقال ﷺ: «إنّ أخًا لكم قد مات فقوموا فصلوا عليه- وفي رواية- فاستغفروا له»(١).

قال السهيليُّ: وكان موت النجاشي في رجب من سنة تسع، ونعاه رسول الله ﷺ إلى الناس في اليوم الذي مات فيه، وصلى عليه بالبقيع، رُفِع إليه سريرُه بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة فصلى عليه .

وتكلّم المنافقون، فقالوا: أيُصلِّي على هذا العِلْج(٢)؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾[آل عمران] (٣).

---

(3) صلاة النبيِّ ﷺ على النجاشيِّ ﷺ واستغفاره له ثابتة بروايات صحيحة عند البخاري في ك الجنائز ب الرجل يُنعى إلى أهل الميت بنفسه رقم ١٢٤٥ (إصدار شركة حرف) وفي أبواب أخرى من نفس الكتاب، وفي ك المناقب ب موت النجاشي رقم ٣٨٧٧، ومسلم في ك الجنائز ب التكبير على الجنازة رقم ٩٥٢ (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي . إصدار شركة حرف)، والترمذي في ك الجنائز ب ما جاء في صلاة النبي ﷺ على النجاشي . رقم ١٠٣٩ (ترقيم أحمد شاكر . شركة حرف)، والنسائي في ك الجنائز ب الصفوف على الجنازة رقم ١٩٧٠ (ترقيم أبو غدة . شركة حرف)، وابن ماجة في ك الجنائز ب ما جاء في الصلاة على النجاشي رقم ١٥٣٦ ـ ١٥٣٧ (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي . شركة حرف)، وأحمد في المسند رقم ١٣٧٣٧، ١٤٥٤٥ .

(١) العِلْج : حمار الوحش، وبه يُشَبَّه الرجلُ الأعجميّ. معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ٢/ ١٦٥ وضَع حواشيَه : إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية . بيروت . ط الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(٢) الروض الأنف ٣/ ٢٦٢ . ويُراجَع مجمع الزوائد ٣/ ٣٨ – ٣٩، حيث أورد رواياتٍ بهذا المعنى عن ابن عمر وأنس وأبي سعيد الخدريّ ووحشيّ بن حرب، ـ لكن ليس فيها أنه رُفع إليه =

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان عن عروة ابن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مات النجاشيُّ كان يُتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور(١) .

رضي الله تعالى عن عبده "أصحمة"، وتقبّله في عباده المتقين، وجزاه خير الجزاء عما قدم للإسلام والمسلمين، وجعلنا وإياه مع النبيين

= سريره ـ وعزاها إلى البزار، والطبرانيّ في الأوسط والكبير .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٤٠، ورواه أبو داود في ك الجهاد ب في النور يُرَى عند قبر الشهيد . رقم ٢٥٢٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الأول

المواجهة بين جعفر بن أبي طالب ورسولَيْ قريش أمام النجاشيّ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المواجهة بين جعفر بن أبي طالب ورسولَيْ قريش أمام النجاشيّ

يجدر بنا أن نشيرَ في هذا الفصل إلى السياق التاريخيّ لموقف جعفر ابن أبي طالب أمامَ النجاشيّ، متمثِّلاً في هجرة المسلمين إلى الحبشة، ثم نذكرَ أهمّ ما جاء بشأنه من روايات معتمَدة لدى العلماء، تتحدث عن تلك المواجهة الخطيرة بين جعفر ورسولَيْ قريش، وما جرى فيها، وذلك على النحو التالي :

الهجرة إلى الحبشة

قضى رسول الله ﷺ الثلاثةَ أعوامٍ الأولى من بعثته يدعو إلى الله تعالى سرًّا، ثم أمَره ربُّه جل وعلا أن يجهر بالدعوة، بقوله سبحانه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] ؛ ومنذ ذلك الحين أخذت قريش تُوغِل في اضطهاد النبيِّ ﷺ، وكلِّ مَن أجابه مِن المسلمين، وقد ازدادت معاناة المسلمين يوما بعد يوم، مع ازدياد وشراسة اضطهاد الكفار من قريش، وإيذائِهمُ البالغِ لأتباع الدين الجديد، حيث راح أولئك الكفار يمارسون أشنع وأقسى أنواعِ التعذيب والتنكيل والإهانة بحق المسلمين، خاصة المستضعفين منهم، إلى حدِّ إزهاق نفوسهم، والفتْك بهم، دون رحمة، أو رعاية لأواصر القُربَى والرَّحِم، أو مراعاةٍ لحرمة الإنسانيةِ والآدمية.

«وفي هذا الوقت العصيب نزلت سورة الكهف ردودا على أسئلة طرحها المشركون على النبيّ ﷺ، ولكنها اشتملت على ثلاث قصص، فيها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عباده المؤمنين .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فقصة أهل الكهف ترشد المؤمنين إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين، متوكِّلين على الله ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف].

وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجري ولا تُنْتِج حسب الظاهر دائما، بل ربما يكون الأمر على خلاف الظاهر، ففيها إشارة لطيفة إلى أن الحرب القائمة ضدّ المسلمين ستنعكس تماما، وسيصادَر هؤلاء الطغاة المشركون- إن لم يؤمنوا- أمام هؤلاء الضعفاء المدحورين من المسلمين.

وقصة ذي القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها مِن عباده مَن يشاء، وأن الفلاح إنما هو في سبيل الإيمان دون الكفر، وأن الله لا يزال يبعث من عباده- بين آونة وأخرى- من يقوم بإنجاء الضعفاء من يأجوجِ ومأجوجِ ذلك الزمان، وأن الأحق بإرث الأرض إنما هم عباد الله الصالحون .

ثم نزلت سورة «الزمر» تشير إلى الهجرة، وتعلن بأن أرض الله ليست بضيّقة، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[الزمر]»(١).

في تلك الأثناء، وبسبب تلك الظروف القاسية وجّه النبي ﷺ أصحابه إلى الهجرة نحو الحبشة، كي يجدوا أرضا يستطيعون أن يعبدوا الله تعالى بها، ويمارسوا شعائر الإسلام بعيدا عن التضييق، والاضطهاد، والإيذاء

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية . د/ مهدي رزق الله أحمد . ص ١٩٦. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . الرياض . ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي يُصَبّ عليهم صَبّا.

«عن الزهريّ قال: لما كثر المسلمون وظهر الإيمان وتُحُدِّث به؛ ثار ناس كثير من المشركين من كفار قريش بمن آمَن مِن قبائلهم، فعذبوهم وسجنوهم وأرادوا فتنتَهم عن دينهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**تفرقوا في الأرض**»، فقالوا: أين نذهب يا رسول الله؟ قال: «**ههنا**»، وأشار إلى الحبشة، وكانت أحبَّ الأرض إليه أن يهاجَر قِبَلها، فهاجر ناس ذوو عدد من المسلمين، منهم مَن هاجر بأهله، ومنهم مَن هاجر بنفسه، حتى قدموا أرض الحبشة.

فخرجوا متسللين سرًّا، وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة، حتى انتهوا إلى الشُّعَيْبة[1]، منهم الراكب والماشي، ووفَّق الله للمسلمين ساعةَ جاؤوا سفينتيْن للتجار، حملوهم فيها إلى أرض الحبشة بنصف دينار، وكان مَخْرجُهم في رجب من السنة الخامسة من حين نبئ رسول الله ﷺ، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤوا البحر حيث ركبوا، فلم يدركوا منهم أحدا»[2].

وقد جاء عند ابن إسحاق أن النبي ﷺ قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنّ بها ملِكا لا يُظلَم عنده أحد، وهي أرض صِدق، حتى يجعل

---

(١) الشُّعَيْبة بضم الشين المعجمة وفتح العين المهمَلة وسكون المثناة التحتية وكسر الموحدة: تصغير شُعبة، مكان على ساحل البحر بطريق اليمن. سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٦٩.

(٢) الطبقات الكبرى ١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤ باختصار، البداية والنهاية ٣/ ٦٦، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سَيّد الناس اليعمري ١/ ٢٠٩ وما بعدها. تحقيق د/ محمد الخطراوي، ومحيي الدين مستو. مكتبة دار التراث. المدينة المنورة. ط الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الله لكم فرجا مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفرارا إلى الله بدينهم، فكانت أولَ هجرة كانت في الإسلام، وكان أولَ مَن خرج من المسلمين عثمانُ بن عفان، معه امرأتُه رقيةُ بنتُ رسول الله ﷺ»(١).

قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفر بن أبي طالب- رضي الله عنه- معه امرأته أسماء بنت عميس، وولَدت له بها عبدَ الله بنَ جعفر، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة(٢) .

وهذه هي الهجرة الأولى للحبشة، وكان عدد المهاجرين فيها اثنيْ عشر رجلا، وأربعَ نسوة(٣).

ثم إن المسلمين بلغهم- حالَ وجودِهم بأرض الحبشة «أن المشركين أسلموا وصلّوا، فلما قدموا مكة وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون فلم يجدوا ما أُخبِروا به من إسلام المشركين صحيحا؛ فرجع مَن رجع منهم، ومكث آخرون بمكة، وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة، **وهي الهجرة الثانية**»(٤).

روى ابن سعد أنه لما قدم أصحاب النبي ﷺ مكة من الهجرة الأولى؛ اشتد عليهم قومهم، وسطَت بهم عشائرهم، ولقوا منهم أذًى شديدا، فأذِن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فكانت خَرْجتُهم الآخرةُ أعظمَها مشقة، ولقوا من قريش تعنيفا شديدا ونالوهم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٢١ ـ ٣٢٢ .
(٢) السابق ١/ ٣٢٣ بتصرف .
(٣) عيون الأثر ١/ ٢٠٩ بتصرف .
(٤) البداية والنهاية ٣/ ٦٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالأذى، واشتد عليهم ما بلغهم عن النجاشيّ من حسن جواره لهم، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله؛ فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلى النجاشيّ ولستَ معنا، فقال رسول الله ﷺ: «**أنتم مهاجرون إلى الله وإليّ، لكم هاتان الهجرتان جميعا**».

وكان عِدّة من خرج في هذه الهجرة من الرجال ثلاثةً وثمانين رجلا، ومن النساء إحدى عشرة امرأة قرشية، وسبع غرائب، فأقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشي بأحسن جوار(١).

فِرية « الغرانيق »

هذا وهناك فرية باطلة حول سبب سجود المشركين وصلاتِهم مع رسول الله ﷺ، مفادها أن رسول الله عليه الصلاة والسلام مدح آلهتهم بكلمات ضمَّنها قراءتَه لسورة النجم، وهذه الفرية تُعرَف لدى العلماء بقصة الغرانيق.

«وقد ذهبت روايات مرسلة صحيحة السند إلى مرسليها، وهم سعيد بن جبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وأبو العالية، إلى أن الشيطان ألقى على لسان الرسول ﷺ في قراءته في صلاته تلك عبارةَ (تلك الغرانيق العُلا (٢) وإن شفاعتهن لتُرتَجَى)، كما ذهبت روايات مرسلة أخرى ضعيفة الأسانيد إلى مرسليها إلى أن العبارة قالها الشيطان

---

(١) الطبقات الكبرى ١/ ٢٠٧، والسيرة النبوية لابن هشام ـ بشأن عدد المهاجرين ـ ١/ ٣٣٠ .

(٢) قال ابن الأثير: الغَرَانِيق هَاهُنَا: الأَصْنَام، وَهِيَ فِي الأَصل الذكُور مِنْ طَيْر المَاء، واحِدُها: غُرْنُوق وغُرْنَيْق، سُمِّي بِهِ لِبَيَاضِهِ. والغُرْنُوق أَيْضًا: الشَّابُّ النَّاعِمُ الأَبْيَض. وَكَانُوا يَزْعمون أَنَّ الْأَصْنَامَ تُقَرِّبُهم مِنَ اللهِ وَتَشْفَع لَهُمْ، فشُبِّهَت بِالطُّيُورِ الَّتِي تَعْلُو فِي السَّماء وتَرْتَفع. النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٣٦٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وسمعها المشركون دون المسلمين، وما قالته المراسيل المعتبرة يصطدم مع عصمة النبوة في قضية الوحي، ويعارض التوحيد وهو أصل العقيدة الإسلامية، لذلك فإنها مرفوضة متنا حتى لو ثبت تعدد مخارجها، ولم يأخذها الثلاثة التابعون عن شيخ واحد.

ولعل سجود المشركين مع الرسول ﷺ لِما اعتراهم من خوف ودهشة، وهم يستمعون إلى أخبار إهلاك الأمم السالفة»(١).

«وهناك روايات أخرى أجرأ على الافتراء، تنسب قولةَ الغرانيق تلك.. إلى رسول الله ﷺ، وتعلل هذا برغبته- حاشاه ﷺ- في مَرْضاة قريش ومهادنتِها!!!»(٢).

وقد قال الإمام ابن كثير عن روايات القصة: «ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم»(٣).

ويقرر صاحب الظلال أن هذه الروايات جميعا لا يمكن أن تُقبل، «فهي فضلا عن مجافاتها لعصمة النبوة، وحفظ الذِّكْر من العبث والتحريف؛ فإن سياق السورة ذاتَه ينفيها نفيا قاطعا، إذ إنه يتصدى لتوهين عقيدة المشركين في هذه الآلهة وأساطيرِهم حولها، فلا مجال لإدخال هاتين العبارتين في سياق السورة بحال، حتى على قول من قال: إن الشيطان ألقى بهما في أسماع المشركين دون المسلمين، فهؤلاء المشركون

---

(1) السيرة النبوية الصحيحة . د/ أكرم ضياء العمري ١/ ١٧١ – ١٧٢ باختصار . مكتبة العبيكان . الرياض. ط الثالثة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

(2) في ظلال القرآن . سيد قطب ٦/ ٣٤٢٠ . دار الشروق . بيروت . ط العاشرة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

(3) تفسير القرآن العظيم . للحافظ ابن كثير ٣/ ٢٣٠ . دار الفكر . بيروت ١٤٠١هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كانوا عربا يتذوقون لغتهم، وحين يسمعون هاتين العبارتين المقحَمتين ويسمعون بعدهما: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢١ – ٢٣]..إلخ، ويسمعون بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم]، ويسمعون قبله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].. حين يسمعون هذا السياقَ كله فإنهم لا يسجدون مع الرسول ﷺ لأن الكلام لا يستقيم، والثناء على آلهتهم وتقرير أن لها شفاعة ترتجى لا يستقيم، وهم لم يكونوا أغبياء كغباء الذين افتروا هذه الروايات، التي تلقفها منهم المستشرقون مغرضين أو جاهلين!»(١).

يقول الدكتور الأعظمي: «ولو فرضنا- جدلا- أن أسانيدها صحيحة ثابتة ، فهل تثبت بذلك صحة القصة ؟! معاذ الله .

والمعروف للجميع أن الحديث الشاذ – وهو الحديث الذي يخالف الراوي الثقةُ فيه مَن هو أوثق منه أو أكثر عددا – من الأحاديث الضعيفة، وهذا في خبر الآحاد، فإذا كان خبرٌ من أخبار الآحاد يخالف القرآن الكريم وإجماع الأمة مثلا كالإيمان بعصمة الأنبياء فلا يكون الحديث شاذا بل يكون موضوعا في هذه الحالة .

وقد قال ابن الجوزيِّ قديما: كل حديث رأيتَه يخالف العقول، أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع، فلا يُتكلف اعتبارُه، أي لا تَعتبِرْ رواته.

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٢٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد قال ابن أبي حاتم الرازي في تقدمة الجرح والتعديل: «ويقاس صحة الحديث بعدالة ناقليه، وأن يكون كلاما يصلح أن يكون من كلام النبوة».

وأي عقل ـ مهما بلغ في السخافة ـ يستطيع أن يَقبَل أن الرسول ﷺ الذي دعا إلى التوحيد الخالص يأتي عليه زمانٌ فيصالح المشركين بتمجيد آلهتهم، ثم يَنسب ذلك القولَ اللعينَ إلى ربه جلّ وعلا!

فإذا كانت الأسانيد مثل الشمس لا تثبت [بها] هذه القصة من قريب أو من بعيد؛ فكيف ثبتت بهذه الأسانيد الضعيفة حتى نبحث عن تأويلها»(١).

«وحجةٌ أخرى ساقها الأستاذ الشيخ محمد عبده - حين كتب يفنِّد قصة الغرانيق- تلك: أن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق لم يرد في نَظْمهم ولا في خطبهم، ولم يُنقَل عن أحد أن ذلك الوصفَ كان جاريا على ألسنتهم، وإنما ورد الغُرْنُوق والغُرْنَيْق على أنه اسمٌ لطائرٍ مائيٍّ أسودَ أو أبيضَ، والشابُّ الأبيض الجميل، ولا شيء من ذلك يلائم معنى الآلهة أو وصفها عند العرب»(٢).

ونورِد في ختام هذا الردِّ الموجز على أكذوبة الغرانيق ما ذكره صاحب كتاب (حياة محمد)، إذْ قال:

«وأعجب ما في جرأة هؤلاء المفترين أنهم عرَضوا للافتراء في أُمٍّ

---

(١) مغازي رسول الله لعروة بن الزبير . جمعه وحققه وقدم له د/ محمد مصطفى الأعظمي. ص ١٠٨. من حواشي المحقق .

(2) حياة محمد . د/ محمد حسين هيكل . ص ١٦٥- ١٦٦. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة . ط الثالثة عشرة .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مسائل الإسلام جميعا: في التوحيد! في المسألة التي بُعِث محمدٌ [ﷺ] لتبليغها للناس منذ اللحظة الأولى، والتي لم يَقبل فيها منذ تلك اللحظة هوادة، ولا أَمَالَه عنها ما عرَضتْ عليه قريش أن يُعطوه ما يشاء من المال، أو يجعلوه مَلِكا عليهم، وعرَضوا ذلك عليه حين لم يكن قد اتبعه من أهل مكة إلا عدد يسير، وما كان أذى قريش لأصحابه ليجعله يرجع عن دعوةٍ أمَرَه ربُّه أن يبلِّغها للناس، فاختيار المفترين لهذه المسألة التي كانت صلابةُ محمدٍ [ﷺ] فيها غايةَ ما عُرِف عنه من الصلابة، يدل على جرأة غير معقولة، ويدل في الوقت نفسه على أن الذين مالوا إلى تصديقهم قد خُدِعوا فيما لا يجوز أن يُخدَع فيه أحد»(١).

ولقد بقِيَ المسلمون بالحبشة آمنين، بعد أن باءت محاولات قريش لاستردادهم منها بالفشل ـ كما سنشير إلى هذا في موضعه من البحث ـ حتى رجع آخِرُ جمْع منهم بصحبة جعفر بن أبي طالب عقب فتح خيبر، في السنة السابعة من الهجرة النبوية .

وقد كلّم رسولُ الله ﷺ المسلمين وطلب منهم أن يشاركهم إخوانُهم العائدون من الحبشة في غنائم خيبر، فوافقوا، رضي الله عنهم أجمعين (٢).

فضل المهاجرين إلى الحبشة

وقد أخبر النبي ﷺ بما لِمهاجِرة الحبشة من قدْر عظيم، وأجر كبير،

---

(1) السابق. ص ١٦٧. ويراجع في تفنيد القصة أيضا: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية. د/ مهدي رزق الله أحمد . ص ١٩٩ ـ ٢٠٥ .

(2) يراجع في إشراك جعفر ومن معه في أسهم خيبر : صحيح البخاري في كتاب فرض الخمس . باب من الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين . رقم ٣١٣٦ . مِن رواية أبي موسى، الطبقات الكبرى ١/ ٢٠٧، عيون الأثر ١/ ٢١٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومكانة رفيعة في المسلمين.

عن أبي موسى ﷺ - يروي قصة خروجِهم إلى الحبشة، وعـودتِهم منهـا - قال: ... وكان أناس من الناس يقولون لنا يعني لأهـل السفينة: سبقناكم بالهجرة، ودخلَت أسماء بنت عميس - وهي ممـن قـدم معنـا - على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقـد كانـت هـاجرت إلى النجـاشيِّ فـيمن هـاجر، فدخل عمرُ على حفصةَ وأسماءُ عِندها، فقال عمرُ - حين رأى أسماء: مَن هذه ؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمرُ: الحبشيّةُ هذه، البحْريّـةُ هـذه؟ قالت أسماء: نعـم، قـال: سـبقناكم بـالهجرة، فـنحن أحـق برسـول الله ﷺ مـنكم، فغـضبتْ وقالـت: كـلا والله! كنـتم مـع رسـول الله ﷺ يُطعِـم جـائعَكم، ويعِـظ جـاهلَكم، وكنـا في دارٍ أو في أرض البُعَـداء البُغَـضاء بالحبشة[1]، وذلـك في الله وفي رسـوله ﷺ، وايـم الله لا أَطعَـم طعامـا ولا أشرب شرابـا حتـى أذكـرَ مـا قلـتَ لرسـول الله ﷺ، ونحـن كنـا نـؤذَى ونخاف، وسـأذكر ذلـك للنبـي ﷺ وأسـأله، والله لا أكـذب ولا أزيـغ ولا أزيد عليه، فلما جاء النبيُّ ﷺ قالت: يـا نبـيَّ الله! إن عمـرَ قـال كـذا وكـذا، قـال: فما قلتِ له؟ قالت: قلتُ له كذا وكـذا، قـال: لـيس بـأحقَّ بي منـكم، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدة، ولكم أنتم أهـلَ السفينة هجرتـان، قالـت: فلقد رأيتُ أبا موسى وأصحابَ السفينة يأتونني أرسالا[2] يسألونني عـن هذا الحديث، ما من الدنيا شيءٌ هم به أفرحُ ولا أعظمُ في أنفسهم ممـا قـال

---

(1) قال القاضي عياض: "سُمُّوا بُعَداء لبُعد نَسَبهم من نَسب الْعَرَب، وبُغَضاء لاخْتِلَاف الدِّينَيْن". مشارق الأنوار على صحاح الآثار ١/ ٩٦ .

(2) الرَّسَلُ - بِفَتْحَتَيْنِ - الْقَطِيعُ مِنْ الْإِبِلِ، وَالْجَمْعُ أَرْسَالٌ، مِثْلُ: سَبَبٍ وَأَسْبَابٍ، وَشُبِّهَ بِهِ النَّاسُ فَقِيلَ جَاؤوا أَرْسَالًا أَيْ جَمَاعَاتٍ مُتَتَابِعِينَ. المصباح المنير، للفيومي ١/ ٢٢٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لهم النبيُّ ﷺ، قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيتُ أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديثَ منِّي(١).

رسولا قريش عند النجاشي

وما إن وطئت أقدام المسلمين المهاجرين أرض الحبشة، وأخذوا يلتقطون أنفاسهم، ويحطّون بها رحالهم عقب الهجرة الثانية؛ حتى أخذت قريش في ملاحقتهم، وشرعت في التخطيط للنيل منهم، وتكدير صفوهم، بل والعمل بجِدّ لاقتلاعهم من أرض الحبشة، وإعادتهم إلى مكة، بغيةَ التنكيلِ بهم، وفتْنتِهم في دينهم من جديد، ولم تضيِّعْ كثيرَ وقت؛ فسرعان ما أتمت خططها، وبدأت في تنفيذها، واختارت لهذه المهمة النكراء رسوليْن، يكونان سفيريْ شرٍّ وعدوانٍ لها عند ملك الحبشة.

هذا؛ ولقد جاء في بعض الروايات أن رسوليْ قريش، اللذَيْنِ بعثت بهما إلى النجاشي، ليكلِّماه في أمر المسلمين، ويطالباه بردّهم إلى قومهم، هما: عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، وجاء في بعضها أنهما: عمرو بن العاص، وعُمارة بن الوليد بن المغيرة.

«وقد قيل إن قريشا بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين؛ الأولى: مع عمرو بن العاص وعُمارة، والثانية: مع عمرو وعبد الله بن أبي ربيعة، نصّ عليه أبو نعيم في الدلائل، والله أعلم، وقد قيل إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر، قاله الزهري، لينالوا ممن هناك ثأراً، فلم يجبهم النجاشي رضي الله عنه وأرضاه إلى شيء مما سألوا، فالله أعلم»(٢).

---

(3) رواه البخاري في ك المغازي . ب غزة خيبر . رقم ٤٢٣١ . ومسلم في ك فضائل الصحابة . ب من فضائل جعفر وأسماء بنت عميس رقم ٢٥٠٣ . وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٧٤ـ ٧٥ .

(١) البداية والنهاية ٣/ ٧٦، عيون الأثر ١/ ٢٠٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان الله عز وجل قد ألقى العداوةَ بين رسولَيْ قريشٍ؛ عمرِو بنِ العاص وعُمارة بن الوليد، قبل أن يَقْدُما إلى النجاشي، وكان عمرو بن العاص رجلا قصيرا، وكان عُمارة رجلا جميلا، وكانا أقبلا في البحر، فشربا، ومع عمرٍو امرأتُه، فلما شربا قال عُمارة لعمرٍو: مُرِ امْرأتك فلتقبِّلني، فقال له عمرٌو: ألا تستحي؟! فأخذ عُمارةُ عمروًا فرمى به في البحر، فجعل عَمرو يناشد عُمارة حتى أدخله السفينة، فحقد عليه عمرو في ذلك، ثم اصطلحا حين قدِما على النجاشي، ليدركا حاجتهما التي خرجا إليها مِن طلب المسلمين، فلما أخطأهما ذلك رجعا بِشرٍّ ما كانا عليه من العداوة وسوء ذات البين، فمكر عمرٌو بعُمارة، فقال: يا عُمارة! إنك رجل جميل وسيم، فأْتِ امرأة النجاشي فتحدّث عندها إذا خرج زوجُها، تصيبها فتعيننا على النجاشي، فإنك ترى ما وقعنا فيه من أمرنا لعلنا نُهلِكُ هؤلاء الرهطَ، فراسلها عُمارة حتى دخل عليها، فلما دخل عليها انطلق عمرو إلى النجاشي، فقال: إني لم أكن أخونك في شيء علمتُه إذا اطلعتُ عليه، وإنّ صاحبي الذي رأيتَ لا يتمالك عن الزنا إذا هو قدَرَ عليه، وإنه قد خالف إلى امرأتك، فأرسَلَ النجاشيُّ إلى امرأته فإذا هو عندها، فلما رأى ذلك أمر به فنُفِخ في إحليله سِحْرةً، ثم أُلقِيَ في جزيرةٍ من جزر البحر، فجُنّ واستوحش مع الوحش، ورجع عمرٌو إلى مكة قد أهلك الله صاحبه، وخيّب مسيره، ومنعه حاجته(١).

(1) انظر القصة في: مغازي رسول الله لعروة بن الزبير . ص ١١٣ – ١١٤، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٢٩٦، والروض الأنف للسهيلي ٣/ ٢٥٣ – ٢٥٤، وسير أعلام النبلاء للذهبيّ ١/ ٤٤٠، ومجمع الزوائد ٦/ ٣١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولقد حرَصَت قريش على انتقاء مَن ترسله إلى النجاشيّ في أمر المسلمين المهاجرين إلى الحبشة بعناية، ويكفي أنها اختارت عمروَ بنَ العاص، وهو مَن هو في الألمعية، والدهاء والاحتيال، فلقد كان «داهيةَ قريش، ورجلَ العالم، ومَن يُضرَب به المثَل في الفِطْنة، والدهاء والحزم»(١).

«وكان من رجال قريش رأْيا، ودهاء، وحزما، وكفاءة، وبصرا بالحروب»(٢).

كما أنه كان آية في الفصاحة والبلاغة، حتى إنّ هذا الأمرَ كان مثارَ انتباهِ عمر بن الخطاب، وتعجّبِه كثيرا، «قال محمد بن سلام الجُمَحِيّ: كان عُمر إذا رأى الرجل يتَلجْلج في كلامه قال: خالقُ هذا وخالقُ عَمروِ بن العاص واحد!»(٣).

موقف جعفر في مواجهة رسوليْ قريش أمام النجاشي

إنه لمن الجدير بالمرء أن يقِف مَلِيًّا - بإكبار وإعجاب - بين يدي موقف "جعفر" الداعية العظيم أمام "النجاشي"، وما صدَع به في مواجهة رسوليْ قريش، ثم ما أعقب ذلك من المكاسب التي حققتها الدعوة بفضل الله أولا، ثم بجهد وأثر هذا الداعية الماهر، ودورِه الكبير في إنجاح دعوته، بما حباه الله عز وجل به من مقومات، ويسّر له من مؤهِّلات عالية رفيعة، جديرةٍ بأن تكون مثلا يُحتذَى لكل مسلم عامة، ولكل داعية خاصة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٥ .

(٢) السابق ٣/ ٥٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣ / ٥٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد وردت روايات عديدة بشأن تلك المواجهة التاريخية الخطيرة، وما تضمنته من خطبة جعفر ومناظراته ومحاوراته، ذات الدلالات والأسرار الدعوية البالغة الأهمية .

وسأكتفي هنا بإيراد ثلاثِ روايات انتقيتُها، وهي تَفِي بالغرض المقصود – إن شاء الله.

الرواية الأولى

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزُّهْرِي، عن أبي بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوجِ رسول الله ﷺ، قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورْنا بها خيرَ جارٍ النجاشيَّ، أمِنّا على ديننا، وعبَدْنا اللهَ تعالى، لا نُؤْذَى ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا ؛ ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشيّ فينا رجلين منهم جَلْديْن، وأن يُهدوا للنجاشيّ هدايا مما يُستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأَدَم (١)، فجمعوا له أَدَما كثيرا، ولم يتركوا من بطارقته بِطريقا إلا أَهْدَوْا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبدَ الله بنَ أبي ربيعة وعمرَو بنَ العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تُكلِّما النجاشيَّ فيهم، ثم قدِّما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يُسَلِّمهم إليكما قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بِطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يُكلِّما

(١) الأَدَم بفتحتين: اسم لجمعِ أديم، وهو الجلد المدبوغ المُصْلَح بالدباغ. المُغْرِب في ترتيب المُعْرِب. ناصر الدين بن عبد السيد أبو المكارم المطرزي ص ٢٢. دار الكتاب العربي .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضَوَى[١] إلى بلد الملك منّا غلمانٌ سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدَع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعَثَنا إلى المَلِك فيهم أشرافُ قومهم ليردّهم إليهم، فإذا كلَّمْنا الملِكَ فيهم فأشيروا عليه بأن يُسْلِمَهم إلينا ولا يُكلِّمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا[٢]، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا: نعم.

ثم إنهما قدَّما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلَّماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضَوَى إلى بلدك منّا غلمانٌ سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بَعَثَنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردَّهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبَوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامَهم النجاشيُّ .

قالت: فقالت بطارقته حوله: صَدَقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلِمْهم إليهما فليردَّاهم إلى بلادهم وقومهم.

فغضب النجاشيُّ، ثم قال: لا ها الله[٣]، إذنْ لا أُسلمهم إليهما ولا يُكاد قومٌ جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على مَن سواي، حتى أدعوَهم

---

(٢) قال السهيليُّ : وقوله : ضَوَى إليك فتية أَيْ : أَوَوْا إليك، ولاذُوا بك، وأما ضَوِي- بكسر الواو- فهو مِن الضَّوَى- مقصور- وهو الهزال . الروض الأنف ٣/ ٢٥٦ .

(١) معناه : أبْصَرُ بهم . سير أعلام النبلاء ١/ ٤٣٥ .

(٢) لا ها الله: قسَم، وأهل العربية يقولون : لا ها الله ذا، والهاء بدل من واو القسم، أيْ : لا والله لا يكون ذا. السابق ؛ نفس الموضع .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فأسْأَلَهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمْتُهم إليهما، وردَدْتُهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعْتُهم منهما، وأحسنْت جوارهم ما جاوروني .

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسولُه اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علِمْنا، وما أمَرَنا به نبيُّنا ﷺ كائنا في ذلك ما هو كائن.

فلما جاؤوا - وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله - سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟

قالت: فكان الذي كلَّمه جعفرُ بنُ أبي طالب- رضوان الله عليه .

فقال له: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منّا الضعيفَ.

فكنّا على ذلك؛ حتى بعث الله تعالى إلينا رسولا منّا، نعرف نَسَبَه وصِدْقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله عز وجل لنوحِّدَه ونعبدَه، ونخلعَ ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرَنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرَنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالصلاة والزكاة [١] والصيام - قالت: فعدّد عليه أمور الإسلام.

فصدَّقناه وآمنّا به، واتبعْناه على ما جاء به من الله، فعبدْنا اللهَ عز وجل وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرّمْنا ما حرّم علينا، وأحلَلْنا ما أحلّ لنا، فعدَى علينا قومنا، فعذّبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان مِن عبادة الله تعالى، وأن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبائث.

فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا؛ خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغِبْنا في جوارك، ورجوْنا أن لا نُظلَم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله مِن شيء؟

قالت: فقال له جعفر: نعم .

فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ .

قالت: فقرأ عليه صدْرا مِن (كٓهيعٓصٓ ١) [مريم].

قالت: فبكى والله النجاشيُّ حتى اخضلّت لحيته[٢]، وبكَتْ أساقفتُه حتى أَخْضَلُوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم.

ثم قال لهم النجاشيُّ: إن هذا والذي جاء به عيسى ليَخْرُج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أُسْلمهم إليكما، ولا يُكادون.

قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينَّه غدا عنهم

---

(١) قال الإمام الصالحي: قول جعفر للنجاشي رضي الله عنهما : "وأمرنا بالصلاة" أي التي كانت قبل فرض الصلوات الخمس . وقوله : "والزكاة" أراد مطلق الصدقة، لأن زكاة المال إنما فرضت بالمدينة. سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٩٥ .

(١) اخضَلّ الشيءُ : ابْتَلّ . معجم مقاييس اللغة ١/ ٣٦٥ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بما أَستأصِل به خَضْراءهم[٢]، قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أتقى الرَّجُلين فينا: لا تفعل، فإن لهم أرْحاما، وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأُخْبِرنَّه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عَبْدٌ، قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما، فأرسِلْ إليهم فسَلْهم عمّا يقولون فيه .

قالت: فأرسَلَ إليهم ليَسْأَلَهم عنه. قالت: ولم ينْزِل بنا مثلُها قط .

فاجتمع القوم، ثم قال بعضُهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله عز وجل، وما جاء به نبيُّنا ﷺ، كائنا في ذلك ما هو كائن .

قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبيُّنا ﷺ؛ يقول: هو عبد الله ورسوله ورُوحه وكلمته [١] ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشيُّ بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودا، ثم قال: والله

---

(٢) أَستأصِل : أي لا أدَع لهم أصلا . خَضْرَاءهم : سوادهم ومعظمهم . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢/ ٣٩٦ .

(١) قال السهيلي : وقول جعفر في عيسى : هو روح الله وكلمته، **ومعنى كلمته** : أيْ قال له كما قال لآدم حين خلقه من تراب، ثم قال له: "كن فيكون"، ولم يقل: فكان، لئلا يُتوهم وقوع الفعل بعد القول بيسير، وإنما هو واقع للحال، فقوله: "فيكون" مُشعِرٌ بوقوع الفعل في حال القول . فهذا معنى الكلمة. **وأما روح الله** فلأنه نفْخة روح القدس في جيب الطاهرة المقدسة، والقدس: الطهارة من كل ما يشين أو يعيب، أو تقذره نفْس، أو يكرهه شرع، وجبريل روح القدس، لأنه روح لم يُخلَق من منيٍّ، ولا صدر عن شهوة، فهو مضاف إلى الله تعالى إضافة تشريف وتكريم، لأنه صادر عن الحضرة المقدسة، وعيسى عليه السلام صادر عنه، فهو روح الله على هذا المعنى، إذ النفخ قد يسمى روحا أيضا. الروض الأنف ٣/ ٢٥٨ – ٢٥٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ما عدا عيسى ابن مريم ما قلتَ هذا العودَ[١]، قالت: فتناخرتْ[٢] بطارقتُه حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شُيُومٌ بأرضي- والشُّيوم: الآمنون- مَن سبّكُم غَرِم، ثم قال: مَن سَبَّكُم غَرِم ثم قال: مَن سَبَّكُم غَرِم، ما أُحِبُّ أنّ لي دَبْرًا مِن ذهب، وأني آذيتُ رجلا منكم - قال ابن هشام: ويُقال دَبْرَى من ذهب [٣]، ويُقال: فأنتم سيوم، والدَّبْر (بلسان الحبشة): الجبل - رُدُّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخَذ الله منِّي الرِّشوةَ حين ردَّ عليَّ مُلْكِي، فآخذَ الرشوةَ فيه، وما أطاع الناسَ فيّ فأطيعهم فيه، قالت: فخرجا مِن عنده مَقْبوحَيْن مردودا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار[٤].

الرواية الثانية

عن ابن مسعودٍ ﷺ قال: بعثَنا رسولُ الله ﷺ إلى النجاشيِّ ونحن نحوٌ من ثمانين رجلا، فيهم عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى، فأتوا النجاشيَّ، وبعثَتْ قريشٌ عمرَو بنَ العاص وعُمارةَ بنَ الوليد بهديّةٍ، فلما دخلا على النجاشي سجدا له، ثم

---

(٢) ما عدا عيسى هذا العودَ : منصوب على الظرف، تقديره : مِقدارَ هذا العود، أو قدْرَ هذا العود . سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٩٦ .

(٣) النخير: صوْت من الأنف، وقيل : النخير ضرب من الكلام . سير أعلام النبلاء ١/ ٤٣٥ .

(3) ذكر ابن الأثير أن معنى (دَبْرَى) ـ بالقصر: اسم جبل . النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٩٩.

(4) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٣٤ – ٣٣٨، ورواه أحمد في المسند . رقم ١٧٤٢، ورواه الإمام أبوالفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي في كتابه : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٢/ ٣٨١ : ٣٨٤ . تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية . بيروت . ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالا له: إن نفرا من بني عمِّنا نزلوا أرضك، ورغِبوا عنا وعن ملِّتنا، قال: فأين هم؟ قالا: في أرضك، فابعث إليهم، فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتَّبَعوه، فسلَّم ولم يسجد، فقالوا له: مالك لا تسجد للملك؟ قال: إنّا لا نسجد إلا لله عز وجل، قال: وما ذاك؟ قال إن الله عز وجل بعث إلينا رسولَه ﷺ، وأمرَنا ألا نسجد لأحدٍ إلا لله عز وجل، وأمَرنا بالصلاة، والزكاة.

قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم؟ قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمِّه؟ قالوا: نقول كما قال الله عز وجل؛ هو كلمة الله ورُوحُه، ألقاها إلى العذراء البتول (١) التي لم يمسّها بشر، ولم يفرضها ولد(٢) . قال: فرَفَع عودا من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان؛ والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يَسْوَى هذا، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نجد في الإنجيل، وإنه الرسول الذي بشَّر به عيسى ابنُ مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحملُ نعليه، وأوضِّئه، وأمَر بهدية الآخرين فرُدّت إليهما، ثم تعجَّل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرا. وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موتهُ(٣).

---

(1) العذراء: البِكر. البتول: التي انقطعت عن الرجال. سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٩٦.

(2) قال ابن فارس: الفاء والراء والضاد أَصْلٌ صحيح يَدُلّ على تأثير في شيء مِن حَزّ أو غيره . فالفَرْض: الحَزُّ في الشيء، يُقال: فرَضْتُ الخشبةَ، ومِن الباب اشتقاق الفرْض الذي أوجبه الله تعالى، وسُمِّي بذلك لأن له معالمَ وحدودا، ومِن الباب ما يفرضه الحاكم من نفقة لِزوجة أو غيرها، وسُمِّي بذلك لأنه شيء معلوم يَبِين كالأثر في الشيء. معجم مقاييس اللغة ٢/ ٣٤٧ .
ومعنى لم يفْرِضها ولد: لم يَخُزَّها ويُؤثِّر فيها ولدٌ قبل المسيح عليه السلام .

(3) رواه أحمد في المسند . رقم ٤٣٨٦، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٩٨، وابن سيد الناس =

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الرواية الثالثة

عن عروة بن الزبير ﷺ قال: فبعثتْ قريش في آثارهم عُمارةَ بنَ الوليدِ ابنِ المغيرةِ المخزوميَّ، وعمروَ بنَ العاصِ السهميَّ، وأمروهما أن يُسرِعا السيرَ حتى يسبقاهم إلى النجاشيّ، ففعلا، فقدِما على النجاشيِّ فدخلا عليه، فقالا له: إنّ هذا الرجلَ الذي بين أظهرنا، وأفسد فينا تناولك ليفسد عليك دينك، ومُلْكك، وأهْل سلطانِك، ونحن لك ناصحون، وأنت لنا عَيْبَة[1] صِدْق، تأتي إلى عشيرتنا بالمعروف، ويأمن تاجرُنا عندك، فبعثَنا قومُنا إليك لِنُنْذِرك فسادَ مُلْكِك، وهؤلاء نفر مِن أصحاب الرجُلِ الذي خرج فينا، ونخبرك بما نعرف من خِلافِهم الحقَّ؛ أنهم لا يشهدون أنّ عيسى ابنَ مريم - أحسبه قال: إله- ولا يسجدون لك إذا دخلوا عليك، فادفعهم إلينا فَلْنَكْفِكَهُم .

فلما قدِم جعفرٌ وأصحابُه وهم على ذلك من الحديث، وعمروٌ وعُمارةُ عند النجاشيّ، وجعفرٌ وأصحابه على ذلك الحال، قال: فلما رأوا أن الرجلين قد سبقا ودخلا؛ صاح جعفر على الباب: يستأذن حزب الله.

فسمعها النجاشيّ، فأذن لهم، فدخلوا عليه، فلما دخلوا وعمروٌ وعُمارةُ عند النجاشي، قال: أيكم صاح عند الباب؟ فقال جعفر: أنا هو. فأمره،

= بسنده في عيون الأثر ١/ ٢١٢ ـ ٢١٣. وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٦٩، وقال: وهذا إسناد جيد قوي، وسياق حسن .

(1) يُقال : "هو عَيْبة فلان : إذا كان موضعَ سِرّه". أساس البلاغة . الإمام الكبير جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. ص ٣١٨ . تحقيق عبد الرحيم محمود . دار المعرفة . بيروت . وانظر: معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٠٠ . والمعنى : أنت موضع سرّنا، ومحِلّ ثقتنا، ومَن نأْمنه على أَمْرِنا .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فعـاد لها، فلما دخلوا وسلّموا تسليمَ أهلِ الإيمان، ولم يسـجدوا لـه؛ فقـال عمروُ بنُ العاص وعُمارةُ بنُ الوليد: ألم نبيِّن لك خبر القوم؟

فلما سمع النجاشيّ ذلك أقبل عليهم، فقال:

أخبروني أيها الرهْط ما جاء بكـم؟ ومـا شـأنكم؟ ولِمَ أتيتمـوني ولـستم بتجّارٍ ولا سؤَّال؟

وما نبيكم هذا الذي خرج؟

وأخبروني ما لكم، لِمَ لا تحيّونني كما يُحيّيني مَن أتاني من أهل بلدكم؟

وأخبروني ما تقولون في عيسى ابن مريم؟

فقام جعفر بن أبي طالب - وكان خطيبَ القوم - فقال:

إنّـما كلامـي مـن ثـلاث كلـمات، إن صـدقْتُ فـصدِّقْني، وإن كـذبْتُ فكذِّبْني.

فـأْمُرْ أحـدا مـن الـرجلين فليـتكلّم ولْينـصت الآخَـر، قـال عمـرو: أنـا أتكلم.

قال النجاشيّ: أنتَ يا جعفر فتكلم قبله .

فقال جعفر:

إنما كلامي من ثلاث كلمات؛ سلْ هـذا الرجـلَ: أَعَبيـدٌ نحـن أبَقْنـا مِـن أربابنا؟ فاردُدْنا إلى أربابنا .

فقال النجاشيّ: أعبيدٌ هم يا عمرو ؟

قال عمرو: بل أحرار وكرام .

قال جعفر: سلْ هذا الرجـلَ: هـل أهْرقْنـا دمـا بغـير حقـه ؟ فادْفعنـا إلى أهل الدّم .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقال: هل أهْرقوا دما بغير حقه ؟

فقال: ولا قطرةً واحدةً من دم .

ثم قال جعفر: سلْ هذا الرجلَ: أخذْنا أموالَ الناس بالباطل ؟

فعندنا قضاء .

فقال النجاشيّ: يا عمرو ؛ إنْ كان على هؤلاء قنطار من ذهب فهو علَيّ.

قال عمرو: ولا قيراط .

فقال النجاشيّ: ما تطلبونهم به ؟

قال عمرو: فكنا نحن وهم على دينٍ واحدٍ، وأمرٍ واحدٍ، فتركوه، ولزِمْناه .

فقال النجاشيّ: ما هذا الذي كنتم عليه فتركتموه وتبعتم غيره ؟

فقال جعفر: أمّا الذي كنا عليه فدين الشيطان وأمْر الشيطان ؛ نكفر بالله ونعبد الحجارة، وأمّا الذي نحن عليه فدين الله عز وجل، نخبرك: أنّ الله بعث إلينا رسولا كما بعث إلى الذين من قبلنا، فأتانا بالصدق والبِرّ، ونهانا عن عبادة الأوثان، فصدّقْناه وآمنّا به واتبعناه .

فلما فعلنا ذلك عادانا قومُنا، وأرادوا قتلَ النبيِّ الصادق، وردَّنا في عبادة الأوثان، ففرزْنا إليك بديننا ودمائنا، ولو أقرَّنا قومُنا لاستقْرزْنا، فذلك خبَرُنا.

وأمّا شأن التحية ؛ فقد حيّيْناك بتحية رسول الله ﷺ، والذي يُحيِّي به بعضُنا بعضا، أخبرَنا رسولُ الله ﷺ أنّ تحية أهل الجنة السلام، فحيَّيْناك بالسلام.

وأما السجود فمَعاذَ الله أن نسجد إلا لله، وأنْ نَعْدِلك بالله.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما في شأن عيسى ابن مريم ؛ فإن الله عز وجل أنزل في كتابه على نبينا أنّه رسولٌ قد خَلتْ من قَبْله الرسل، ولدَتْه الصِّدِّيقة العذراء البتول الحَصَان(١)، وهو رُوح الله وكلمتُه ألقاها إلى مريم، وهذا شأن عيسى ابنِ مريم.

فلما سمع النجاشيّ قول جعفر ؛ أخذ بيده عُودا، ثم قال لمن حوله: صدَق هؤلاء النفر، وصدَق نبيهم، والله ما يزيد عيسى ابن مريم على ما يقول هذا الرجل، ولا وزْن هذا العود .

فقال لهم النجاشيّ: اُمكُثوا فإنكم سيُوم - والسيوم آمنون - قد منعكم الله، وأمر لهم بما يُصلحهم .

فقال النجاشيّ: أيُّكم أدْرَسُ للكتاب الذي أُنزِل على نبيكم؟ قالوا: جعفر، فقرأ عليهم جعفر سورة مريم، فلما سمعها عرَف أنه الحقّ، وقال النجاشي: زدنا من الكلام الطيب، ثم قرأ عليه سورة أخرى، فلما سمعها عرَف الحق، وقال: صدقْتُم، وصدقَ نبيُّكم ﷺ، أنتم والله صِدِّيقون، اُمكُثوا على اسم الله وبركته آمنين ممنوعين، وأُلقِيَ عليهم المحبةُ من النجاشيّ(٢).

* * *

(1) الحَصَان: المرأة المُتعَفِّفة الحاصِنة فرجَها . والفِعل من هذا : حَصُن، قال أحمد ابن يحي ثعلب: كلّ امرأة عفيفة فهي مُحْصَنة ومُحْصِنة، وكلّ امرأة متزوجة فهي مُحْصَنة لا غير، قال: ويقال لكل ممنوع: مُحْصَن . معجم مقاييس اللغة ١/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

(2) مغازي رسول الله ﷺ. لعروة بن الزبير . ص ١١١ـ ١١٣ . ورواه الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله ابن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ هـ) في دلائل النبوة ١/ ٢٤٣-٢٤٦ حديث رقم ١٩٣ بسنده إلى عروة بن الزبير، تحقيق د. محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثاني

ملامح الداعية الناجح كما تمثّلت في شخصية جعفر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملامح الداعية الناجح
كما تمثّلت في شخصية جعفر

لقد توافرت لجعفر بن أبي طالب ﷺ صفاتُ ومقوماتُ الداعيةِ الماهر، والتي كان لها - بتوفيق الله تعالى - أبلغُ الأثر في تحقيق نجاحات ملموسة، ومكاسب عظيمة للدعوة الإسلامية في الحبشة وقتئذ، مِن خلال موقفه المشهود وخطبته ومحاوراته ومناظراته أمام النجاشيّ ﷺ، ويستطيع المرء أن يلمح ما كان يتمتع به جعفر ﷺ مِن صفات المسلم الداعية الناجح، من خلال قول النبيّ ﷺ له: «**أَشْبهْتَ خَلْقِي وخُلُقِي**»(١)، حيث إنه ﷺ هو المثل الأعلى، والصورة المثلى للداعية إلى الله تعالى .

ويجدر بنا أن نسلِّط الضوء على هذه الصفات التي تكوِّن ملامح الداعية الناجح المؤثِّر، كما تحققت وتمثّلت في شخصية جعفر ﷺ، لما فيها مِن زاد نافع للدعاة إلى الله تعالى، وهذه الصفات تعود إلى أربعة جوانب أساسية، وهي:

١ - الصفات الإيمانية.

٢ - الصفات العِلْمية.

٣ - الصفات الأخلاقية.

٤ - الصفات الخِلْقية.

ونشير إلى أبرز هذه الصفات على النحو التالي :

---

(1) رواه الترمذي في ك المناقب ب مناقب جعفر بن أبي طالب . رقم ٣٧٦٥ مِن حديث البراء بن عازب. وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح، وأحمد من حديث عليّ . رقم ٨٥٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أولا: الإخـلاص :

إن الإخلاص سرٌّ عظيم من أسرار نجاحِ الداعية المسلم، وتوفيقِه في عمله الدعويّ، سواءٌ أكان خطيبا، أم كاتبا، أم شاعرا، أم محاوِرا ومُناظِرا..، والداعيةُ المخلِص المتجرِّد للحق يُسدِّده الله، ويُجرِي الحقَّ على قلبه ولسانه، والمُرائي- والعياذ بالله- يَكِلُه الله عزّ وجلّ إلى نفسه، وقد قيل- بحق: «إذا نبت الإخلاص من الأرض؛ نزل التوفيق من السماء»، ومِن هنا فالداعية الحق هو مَن يقصد بجميع أعماله وجهَ الله تعالى، ويحرِص على ذلك دائما، امتثالاً لقوله سبحانه:(فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾) [الكهف]، وقوله سبحانه: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾) [الأنعام].

ولقد كان جعفر بن أبي طالب ﷺ مثالا للداعية المخلِص لربه جل وعلا، فلم يكن من طلاب الدنيا، ولم يكن من المُرائين، كما أنه لم يكن مجرد خطيب محترِف، أو مُناظِر متفَلْسِف؛ بل كان موقفُه المشهودُ أمام النجاشيّ، في مواجهة رسولَيْ قريش نُصْرةً لدين الله، ودفاعا عن الحق الذي آمن به، وضحّى بترْك الوطن الغالي مِن أجله، فكانت كلماتُه إذْ ذاك نابعة مِن قلب مخلِصٍ، طلّقَ صاحبُه الدنيا بكلِّ زخارفها، ولم يبالِ بالخَلْق؛ رضُوا أم سخِطوا، بل تمحّص قصدُه وتحدّدَت وِجهتُه نحو إرضاءِ واحدٍ فقط، هو اللهُ الواحدُ، ولذلك كان توفيقُ الله حليفَه، وعونُه تعالى قرينَه، حيث أظهر حُجّتَه، وأعلى دعوته، وخذل أعداءه، وخيَّب مسعاهم، ودحر باطلهم .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانيا: التوكّل على اللّه :

«التوكّل مأخوذ من الوَكالة[1]، يقال: وكَل أمره إلى فلان، أيْ فوّض أمره إليه، واعتمد عليه.

فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الموكَّل، ولا يتوكل الإنسان على غيره إلا إذا اعتقد فيه أشياء: الشفقة، والقوة، والهداية. فإذا عرفتَ هذا فقس عليه التوكّل على الله سبحانه، وإذا ثبت في نفسك أنه لا فاعل سواه، واعتقدت مع ذلك أنه تام العلم والقدرة والرحمة، وأنه ليس وراء قدرته قدرة، ولا وراء علمه علم، ولا وراء رحمته رحمة؛ اتكل قلبُك عليه وحده لا محالة، ولم يلتفت إلى غيره بوجه»[2].

والداعية يجب عليه أن يكون متوكِّلا على الله في كل أحيانه وأحواله، موقنا بقُدرة الله تعالى وقَدَره، وأن يمضي في دعوته بهذا اليقين قويّا لا يتقهقر ولا يتزعزع، مطمئنا إلى أن أمره كلَّه بيد الله، الذي ما شاء كان، وما لم يشأْ لم يكن.

«إن التوكل على الله حقيقة دائمة يطلقها الرسل عليهم الصلاة والسلام (وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾) [إبراهيم] . فعلى الله وحده يتوكل المؤمن، لا يلتفت قلبه إلى سواه، ولا يرجو عونا إلا منه، ولا يرتكن إلا إلى حماه. ويواجه المؤمنون الطغيان بالإيمان، ويواجهون الأذى بالثبات (وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا) [إبراهيم: ١٢]، إنها كلمة المؤمنِ المطمئنِّ إلى موقفه وطريقه، المالئِ يديْه من وليّه وناصرِه، المؤمنِ أن الله الذي يهدي

---

(1) (الْوَكَالَةُ) بِفَتْحِ الْوَاوِ وَكَسْرِهَا . كما في مختار الصحاح، مادة (و ك ل) .

(2) مختصر منهاج القاصدين، الإمام أحمد بن قدامة المقدسي، ص ٣٣٧ ، تحقيق محمد وهبي سليمان، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

السبيل لا بد أن ينصر ويعين .

والقلب الذي يحس أن يد الله سبحانه تقود خطاه وتهديه السبيل هو قلب موصول بالله، لا يخطئ الشعور بوجوده سبحانه وألوهيتِه القاهرةِ المسيطرة، وهو شعور لا مجال معه للتردد في المضيّ في الطريق، أيًّا كانت العقبات في الطريق، وأيًّا كانت قوى الطاغوت التي تتربص في هذا الطريق»(١).

ولقد كان جعفر ﷺ مثالا للداعية المتوكِّل على ربه، المفوِّض أمرَه إلى مولاه، الموقِن بالتأييد والمعونة منه جل في علاه، حيث كان في دعوته قويًّا شامخا، موقنا بأن كل شيء بيد ربِّه خالقِ القوى والقُدَر، ولذلك فإنه- حين قام خطيبا- لم يتردد في فضح الجاهلية ومبادئها، والإعلان بدعوة الحق التي يحملها، والكرِّ على باطل الخصوم وزيفهم دون تهيّب ولا وجَل، فكان مَثَلُه مَثَلَ المجاهد في سبيل الله، الذي يخوض المعارك الضارية بإقدام، ولا يبالي أوَقَع على الموت أم وقَع عليه الموت، لأنه يعلم أن كل شيء في علم الله مقدَّر، وأنّ كلّ مقَدَّر كائن، وأن كلَّ ما يُصيبه من شرٍّ أو خير؛ إنما هو متوقِّف على إرادة الله، ومعقود بمشيئته سبحانه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة].

ثالثا: العِلم:

إن مما يجب على الداعية إلى الله تعالى أن يكون متسلِّحا بالعلم، وسَعة

(١) طريق الدعوة في ظلال القرآن ١/ ٢٦٩ ، جمع وإعداد أحمد فائز، مؤسسة الرسالة، بيروت . ط الحادية عشرة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المعرفة، وعمق الثقافة، حتى يكون في دعوته إلى الله على بيّنة وبصيرة، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

وهذا المطلب من أوكد الأمور في حق الداعية، لا سيما في عصرنا هذا، حيث غدت الحاجة ماسة ومُلِحّة لأن يتسلح كلُّ مَن يتصدّى للقيام بالدعوة الإسلامية بالمعرفة والثقافة الشمولية، في مواجهة الحرب الفكرية والثقافية العاتية، التي ترمي إلى إبعاد الناس عن الإسلام، وزعزعة اعتقاد المسلمين في دينهم، وجدارته بقيادة الحياة، وإصلاح حال البشرية وإسعادها.

ولقد تحققت في "جعفر" ﷺ صفةُ العلم، كما يتضح هذا من خطبته أمام النجاشيّ، ومواجهته لرسولَيْ قريش، وتجلّت جوانبُ ومظاهرُ ما حظِي به "جعفر" من علم - في خطبته تلك - في ثلاثة جوانب:

الجانب الأول: عِلمه بالجاهلية ومبادئها:

وقد مكّنه هذا من كشف عوراتها، وهتك أستارها، ومجافاتها لجميع الشرائع والرسالات التي بعث الله بها أنبياءه ورسله، ومِن بينها رسالة عيسى- عليه السلام- التي يؤمن بها النجاشيّ، فقد استطاع جعفر- ببراعة- أن يصور حال الجاهلية ومعتقداتها تصويرا يُنفِّر منها، ويسفِّه مَن يَقبَل البقاء في أرجاسها وضلالاتها، حيث قال:

«أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منّا الضعيفَ».

«وأراد مباشرة أن يكسر الطوق الذي أحكمه عمرو، في أنّ قريشا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والنجاشيَّ تحت راية واحدة، لقد حطّم تلك الراية، ونفد إلى أعماق النجاشي ليؤكد له أنّ جعفراً ومن معه هم والنجاشيّ تحت راية واحدة، رايةِ التوحيد والوحيِ من الله، والكتابِ المُنزَّل من عنده، بينما تخرُج قريش خارج هذه الحظيرة، وهم يعبدون الأوثان والأصنام، ويقدِّسونها من دون الله»(١).

إن معرفة جعفر ﷺ بالجاهلية، وعرْضَه لِسوْآتها، وكشْفَه عن قبح مضمونها؛ يُظهر للمخاطبين عظمة الإسلام، وجمال مبادئه، وقد قيل: (بضدّها تتمايز الأشياء).

وفي هذا درس عظيم للدعاة؛ حيث يجب أن يكونوا على علم بالدعوات المناوئة للإسلام، خاصة تلك التي تُطرَح كبديل للشريعة الإسلامية، كالشيوعية والرأسمالية، وغيرها، كي يتمكنوا من كشف زيفِها، وإظهارِ عَوارِها، وإثبات فشلها، فيتبينَ الرشْد من الغَيّ، ويعرفَ الناس الباطلَ فيجتنبوه، والحقَّ فيتبعوه، ويزدادَ الذين آمنوا إيمانا، كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام].

ورحم الله صاحب الظلال إذْ قال- عند تفسير هذه الآية: «إن استبانة سبيل المجرمين ضرورية لاستبانة سبيل المؤمنين، وذلك كالخط الفاصل يُرسَم عند مفرق الطريق!

إن هذا المنهج هو المنهج الذي قرره الله - سبحانه - ليتعامل مع النفوس البشرية.. ذلك أن الله سبحانه يعلم أن إنشاء اليقينِ الاعتقاديِّ

---

(١) فقه السيرة النبوية . منير محمد الغضبان . ص ١٦٤ . دار الوفاء . المنصورة . ط الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالحق والخير يقتضي رؤيةَ الجانبِ المضادِّ من الباطل والشر؛ والتأكدَ من أن هذا باطل محض وشر خالص؛ وأن ذلك حق ممحض وخير خالص..

إن سفور الكفر والشر والإجرام ضروريٌّ لوضوح الإيمان والخير والصلاح، واستبانةَ سبيل المجرمين هدفٌ من أهداف التفصيل الرباني للآيات، ذلك أن أي غبش أو شبهة في موقف المجرمين وفي سبيلهم ترتدُّ غبشا وشبهة في موقف المؤمنين وفي سبيلهم، فهما صفحتان متقابلتان، وطريقان مفترِقان.. ولا بد من وضوح الألوان»(١).

إنه لمن الواجب على الدعاة أن يكونوا على إلمام واسع بالقوى المعادية للإسلام، والتيارات التي تمثل تحدّيا للمسلمين، وعدوّا لَدودًا يهدِّد كيانهم، وحاضرهم ومستقبلهم .

وهذه القوى كثيرة: وعلى رأسها الأديان المحرفة مثل اليهودية والصليبية، يُضاف إليها الإلحاد، وكلُّ ما دار في فلكها جميعا.

فهناك الاستعمار، سواء أكان ملحدا، أم صليبيا، أم يهوديا صهيونيا، وهناك المذاهب المناوئة للإسلام مثل القاديانية، والماسونية، والبهائية، والشيوعية، والتيارات الفكرية المعادية مثل العلمانية، والقومية، والاستشراق، والتبشير.. وغيرها .

هذه التيارات والقوى لا بد أن يكون لدى الداعية معرفة بها، ووسائلِها وأساليبها، وما تشكّله من تحدٍّ للإسلام والمسلمين .

---

(١) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٥-١٠٦ باختصار .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجانب الثاني: علمه بالإسلام وما يتضمنه من عقائد وعبادات وأخلاق:

وقد ساعده هذا في أنْ قدَّم عرْضا ملخّصا جامعا ومُشوِّقا لرسالة الإسلام، التي يؤمن بها، ويدعو إليها، ويهجر الأوطان في سبيلها، وكان عَرْضُه جذابا محبِّبا ومُرغِّبا في دين الإسلام، الذي ينطوي على المبادئ الأساسية التي دعا كلُّ رسول قومَه إليها.

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان "جعفر" جاهزا لإجابة النجاشيّ، عندما سأله عما إذا كان معه شيء من القرآن الذي جاء به الرسول ﷺ مِن عند الله عزّ وجلّ، وقرأ عليه من سورة «مريم»، ولا شكّ في أنها كانت قراءة مُتقَنة، بأداء مؤثِّر، من قارئ ذي علم وفهم، حيث ظهر أثرها في الحال على النجاشيّ وأساقفته، إذْ بكى ﷺ، حتى ابتلّت لحيتُه، وكذلك بكَى أساقفتُه حتى بلُّوا صُحفَهم وكتُبَهم، بل طلب النجاشيُّ مزيدا من التلاوة، حيث قال لجعفر - كما جاء في رواية عروة بن الزبير: «زدنا من الكلام الطيب، فقرأ عليه سورة أخرى».

وهكذا وقف جعفر رضي الله عنه يعرِّف بالإسلام تعريفَ العالِمِ المتمكّن من علمه، كما يتجلى هذا في عباراته التي لا يَملّ المرء من تكرارها، حيث قال ـ بعد أن فضح الجاهلية ـ:

«... فكنّا على ذلك، حتى بعث الله تعالى إلينا رسولا منّا، نعرف نَسَبَه وصِدْقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله عز وجل لنوحِّدَه ونعبدَه، ونخلعَ ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرَنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرَنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرَنا بالصلاة والزكاة والصيام».

وفي هذا الجانب أيضا درس عظيم للدعاة، حيث ينبغي أن يكونوا على قدر كبير من الثقافة الشرعية، كي يتمكنوا من عرض الإسلام بحقيقته النازلة من رب العالمين، وأن ينتقوا من مبادئه ما يتناسب مع المواقف الدعوية المختلفة، وأن يكونوا قادرين على بيان زيف شبهات الخصوم، وادعاءاتهم الباطلة بحق الدين الحنيف وأهله، ليتعلّم الجاهل، ولتنقطِع حجة الخصم المعاند، ويزدادَ المؤمنون إيمانا مع إيمانهم .

الجانب الثالث: عِلمُه بفقه الدعوة إلى اللّه تعالى :

ونعني بفقه الدعوة إلى الله تعالى: أن يكون لدى الداعية الوعيُ التام، والإدراك العميق، والفهم الصحيح لما تتطلبه مهمة الدعوة إلى الله عز وجل، بأن يكون لديه إدراك لحقيقة الدعوة، ومفهومها، ومصادرها، وأهدافها، ولمناهجها، وبقية أركانها، وطبيعة طريقها، وتاريخها، وما يلزم الداعيَ من عُدّة ليقوم بأداء دعوته علي خير وجه، فيكون عنده – على سبيل المثال– إلمام بمقومات الداعية وخصائصه وصفاته، وبقضايا وموضوعات الدعوة التي يدعو إليها، وبالمدعوين وخصائصهم وطباعهم، وأصنافهم، كي يتمكن من التعامل مع كل صنف بما يلائمه من المناهج، والقضايا والأفكار المناسبة، إلى غير ذلك من الأمور التي تحتاج إلى فقه دقيق وفهم عميق، والتي يكون لها أطيب الثمار في نجاح الداعية، وتحقُّق أهدافِ الدعوة .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكـان مِـن مظـاهر هـذا الفقـه لـدى جعفـر- رضي الله عنـه- تمكُّنُـه مِـن حسن العرْض لمبادئ الدعوة، وقدرتُه الفائقةُ على إفحام الخصم، وإلزامِـه الحجـة، وإبطـالِ دعـواه، كـما تجـلى كـذلك في براعتـه في اختيـار القـضايا الدعويـة المناسـبة للمقـام، وكيفيـة خطـاب الحـاكِم ودعوتـه والتـأثير فيـه، وكسبه لجانبه .

إننا عندما نتأمل في خطبته ومحاوراته، نجد أنه قد استطاع- ببراعة- أن يصور حال الجاهلية ومعتقداتها تصويرا يُنفِّر منها، ويسفِّه مَن يَقبـل البقـاء في أرجاسها وضلالاتها ـ كما سبق أن أشرنـا ـ، ثـم انتقـل إلى الحـديث عـن معاملة الكفار للمسلمين، واضطهادهم لهـم لا لـذنب ولا جريـرة سـوى أنهم اختاروا أن يتفيأوا ظلال مبادئ الإسلام الوارفـة، وفـرُّوا مـن مـوات الجاهلية وعفنها.

وقد صـاغ جعفر هذه المعانيَ العظيمةَ في أسلوب فصيح بليغ، وصبّه في وعاء لفظيٍّ وجيز معبِّرٍ ومؤثِّر، وعباراتٍ قصيرة مطربةٍ ومتأنّقة، وكل هذا الكلام خرج من قلب مخلص، وعقل ذكيٍّ، وعـلى لـسانِ مسلمٍ صـاحبِ دعوة، ملكت عليـه شـغافه، وجـرَتْ مـن نفسه مجـرى الـدم مـن العـروق، فكان لهذا كلِّه أكبر الأثر في إقناع النجاشيّ واستمالتِه، والتـأثيرِ فيـه لـصالح دعوته ودينه، حتى صار من المسلمين .

ومن مظاهر فقه الدعوة لدى جعفرٍ كذلك عِلْمُه بما ينبغـي أن يُستعمَل من الكلام في محاورة الملوك والحكام، واختياره للأسلوب الذي ينبغـي أن يُخاطَب به مَلِكٌ حاكمٌ كالنجاشيّ في عـصره، حيـث خاطبـه بـصفة المُلْـك، وأحسـن الثناء عليه، بذكر عدلِه بين الرعية، وأنـه محـط رجـائهم، ومعقـد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

آمالهم، والإعرابِ عن حسن ظنهم فيه، وأنهم لا يشُكُّون في أن يكون تعاطيه لقضيتهم ونظرُه في أزْمَتهم قائما على القسط والفضل، ومن أجل هذا رغبوا في كريم جواره، واختاروه على مَن سواه، مؤمِّلين أن لا يخيب رجاؤهم .

تُرى أين هذه الصفةُ من بعض المتصدّين للدعوة الإسلامية، مِن الخطباء على وجه الخصوص، الذين يفتقرون إلى العلم اللازم لأداء هذه المهمة الكبيرة، ويعانون ضعفا علميًّا ملحوظا، وزادُهم المعرفيُّ لا يسمن ولا يغني من جوع، ولا تتوقف المشكلة عند قلة العلم، وضعف المستوى الثقافيّ، بل إن المشكلة أن الواحد منهم لا يحاول علاجَ ذلك الضعفِ، وإنماءَ ثروتِه العلميةِ، وتوسيعَ حصيلتِه الثقافيةِ والمعرفية، فلو أنه فعل ذلك لانتهت المشكلة، حيث إن العلم بالتعلّم، لكنه - للأسف - لا يريد أن يتعلم، أو يطوِّر من نفسه، ويرقى بمستواه، ليكون أهلا لإقناع المدعوين والتأثير فيهم، وجديرا باحترامهم، وثقتهم في علمه .

ولهذا الضعف مظاهر كثيرة، منها عدم أو قلة حفظ القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ، وضعف المستوى الفقهي، وعدم الإلمام بالثقافة الشرعية في الجملة، أو الثقافة الواقعية والتاريخية، والثقافة المتعلّقة بفن تبليغ الدعوة ونشر الإسلام، وغيرها .

رابعا: الجرأة في القيام بالدعوة إلى الله :

إن من أبرز ملامح الداعية المسلم أنه يبلِّغ دين الله؛ ويصدع بالحق دون أن تأخذه في الله لومة لائم، ودون خوف مِن أحدٍ كائنا مَن كان، كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾) [الأحزاب]، فهو يتقدّم على بركة الله يدعو إلى الخير، ويُحذِّر من الشر، مستمسكا بحبل الله، معتصما بحوله تعالى وقوّته، موقنا أنه لن يُصيبه إلا ما قدّره الله عز وجل له .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعْنا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أَثَرَةٍ علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»(١).

وقد كان جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مثالا للداعية الذي لم يخَفْ في تبليغ الحقِّ أحدا، وقام أمام النجاشيّ يصدع بقولة الحق، ويَعْرِض مبادئ الإسلام التي أوحاها الله إلى نبيه محمد ﷺ دون تهيّب، متمثّلا بحديث رسول الله ﷺ: «**ألا لا تَمْنعنّ رجلاً هيبةُ الناس أن يقول بحقٍّ إذا علِمه**»(٢).

وقد تجلّت جُرأتُه- رضي الله عنه- خاصة عندما جاء الحديث عن رأْي الإسلام وما يعتقده المسلمون في نبيّ الله- عيسى عليه السلام- وأمِّه مريم- رضي الله عنها- فقال في شجاعة ووضوح: نقول فيه الذي جاءنا به نبيُّنا ﷺ؛ يقول: هو عبدُ الله ورسولُه ورُوحُه وكلِمتُه ألقاها إلى مريم

(1) رواه البخاري في ك الأحكام . ب كيف يبايع الإمام الناس رقم ٧١٩٩، ومسلم في ك الإمارة . ب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية . رقم ١٧٠٩، والنسائي في ك البيعة . ب البيعة على السمع والطاعة رقم ٤١٩٤ .

(2) رواه الترمذيّ في ك الفتن. ب ما أخبر به النبيُّ ﷺ أصحابَه بما هو كائن إلى يوم القيامة. رقم ٢١٩١. وقال : حسن صحيح، وابن ماجه في ك الفتن. ب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. رقم ٤٠٠٧. وقال في الزوائد : إسناده صحيح رجاله ثقات، وأحمد في المسند. رقم ١٦٣٤ . كلهم من رواية أبي سعيد الخدري .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العذراء البتول.

ألا ما أشدَّ حاجةَ الدعوة الإسلامية في عصرنا هذا إلى الدعاة الذين يتحلّون بقدْر كبير من الجرأة في الصدْع بكلمة الحق، وعدم التهيّب في تبليغ دين الله إلى الخلق، والشجاعة في تعرية الدعوات الباطلة التي يحتمي أصحابُها في كثير من الأحيان بأنظمة جائرة بطّاشة، كالعلمانية والتحررية، والشيوعية، وغيرها، كما فعل جعفر ﷺ في الدعوة إلى مبادئ الإسلام، وتعرية الجاهلية، وفضح مبادئها، أمام حاكم غير مسلم.

خامسا: الحكمة:

وتطلق الحكمة على معاني «العدل، والحِلم، والحُكم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل، ووضعِ الشيء في موضعه، وصوابِ الأمر وسدادِه»(١).

ونعني بها هنا: وضْعَ الشيء في موضعه، وهي بهذا المعنى لازمة للداعية في كل أحيانه وأحواله.

حقًّا؛ إن الحكمة من ألزم الصفات التي يتحتم على الداعية أن يتحلى بها، وقد أمر الله عز وجل بالالتزام بها في الدعوة إليه سبحانه، فقال جل شأنه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل]، وهي صفة لو افتقدها مَن يعمل في مجال الدعوة الإسلامية لجَانَبه التوفيقُ في كثير مِن عمله، ولَربّما أضرّ من حيث أراد النفعَ، وأفسد من حيث أراد الإصلاحَ،

(١) الكليات . معجم في المصطلحات والفروق اللغوية . لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي . ص ٣٨٢. تحقيق د/ عدنان درويش، محمد المصري . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد يسير على غير هدى، ويعرِّض مجهوده لأن يضيع سُدى.

ولقد كانت الحكمة تكتنف تحركات "جعفر" الدعوية، لا سيما موقفه في مواجهة رسوليْ قريش، وكلامه أمام النجاشيّ، ومن مظاهر تلك الحكمة:

أ- حكمته ﷺ في اختيار القضايا الدعوية التي عرضها أمام النجاشيّ في خطبته؛ حيث اختار من مبادئ الإسلام ما لا يختلف حوله أحد من أتباع الرسل- عليهم الصلاة والسلام- وخاصة النصارى، وهذا واضح فيما اختاره وعَرَضَه من مضمون الرسالة التي جاء بها الرسول ﷺ، فقد ذكَر توحيدَ الله وعبادتَه، وترْكَ عبادةَ الحجارة والأوثان، كما ذكر مكارمَ الأخلاق، كالصدق، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، والابتعاد عن الفواحش وقول الزور، وتجنب أكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، كما ذكر أن الرسول ﷺ جاء بالصلاة والزكاة والصيام .

وهكذا أشار إلى العقائد، والعبادات، وأصول الأخلاق التي تضمّنتْها كلُّ الرسالات الإلهية، ودعا إليها جميع الرسل، وتبعهم فيها من آمن بهم، وهي أمور لا تثير حفيظة النصارى ضدّ المسلمين، وفي نفس الوقت تجعل من أتباع عيسى عليه السلام والمسلمين - في ذلك الوقت - جبهة واحدة في مواجهة جبهة الشرك والوثنية، التي تقف في مواجهة المسلمين، ممثَّلة في رسولَيْ قريش، وأن جعفرًا ومَن معه ينضوون مع النجاشيّ تحت راية واحدة ؛ راية الوحي والرسالة، بينما يَخرُج رسولا قريش المتحدِّثان باسم الوثنية، ومَن وراءهما من الانضواء تحت هذه الراية .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«إن عبقرية جعفر ﷺ في حسن اختيار الموضوع، والزمن المناسب، والقلب المتفتح، والشحنة العاطفية، أدت إلى أن يربَح المِلِكَ إلى جانبه، ليكون جنديًّا من جنود الدعوة»(١).

ب- وكان من مظاهر حكمة جعفر كذلك؛ أنه عمد إلى الإيجاز في عرْضه، وكان كلامه - بحقٍّ - ما قلَّ ودلَّ، بل حتى الجُمَل ذاتها كانت قصيرة، وفي نفس الوقت كانت بليغة ورائعة، لها وقْع متميّز، وصدى محبَّب في نفس مَن يسمعها، ويكفينا أن نتأمّل هذا الأسلوبَ الحكيم في كلامه عن الجاهلية، حيث استطاع في عباراتٍ معدودة أن يرسم لها صورة في منتهى القبح، تجعل مَن لديه مُسْكَة (٢) من عقل - لو اطّلع عليها - أن يولِّيَ منها فرارا دون أن يُعَقِّب، فقد قال ﷺ: «أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منّا الضعيفَ»، وهي كلمات معدودة قد وفّت بالغرض، وبلغتْ الهدف، دون اللجوء إلى كلام كثير، يُنْسِي بعضُه بعضا.

إنه بقدر أهمية الموضوع الدعويِّ الذي يطرحه الداعية على المخاطبين، تكون أهمية الأسلوب الذي يُعرَض به هذا الموضوع، وقد يكون الموضوع على قدر عظيم من الأهمية والمناسبِة للمدعو، لكنه يفقد أهميته بسبب

---

(1) فقه السيرة النبوية . منير محمد الغضبان . ص ١٦٠ – ١٦١ .

(2) المُسْكَة [بالضم] : ما يُتمسّك به . يقال: لي فيه مُسْكَة . وما يُمسِك الأبدان من الطعام والشراب، أو ما يُتَبَلَّغ به منهما . والعقْل الوافر والرأي . يُقال : رجُلٌ ذو مُسْكَة : رأْي وعقل. ولا مُسْكَة له: لا عقل له . ومِن الآبار: الصُّلبة التي لا تحتاج إلى طيّ . والأثر والبقيّة . يقال: فيه مُسْكة من خير: بقية. وليس لأمره مُسْكة : أثر أو أصل يُعوَّل عليه . وما في سقائه مُسْكَة من ماء : قليل منه . المعجم الوسيط . ص٩٠٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رداءة الأسلوب، أو عدم توفيق الداعية في اختيار ما يلائم الزمان والمقام.

«وكثيرا ما يختلط الأمر لدى الدعاة إلى الله، فيطيحون بالأسلوب جانبا، ويقدِّمون ما يحفظون من نصٍّ، مهما كان أسلوب عرْضه، فيُخفِقون لعدم وجود الحكمة التي أمرهم الله تعالى بها: (ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾) [النحل]، فيعودون بالإخفاق على الناس وباللوم منهم وسبابهم، دون أن يدركوا أنهم هم الذين نفّروا الناس بأسلوبهم الفَجّ، ولم يكونوا دعاة إلى الله ورسوله .

ولعل الوقوف أمام الأسلوبِ الرائعِ الأخّاذ الذي عرض به جعفرٌ ﷺ دينَ الله تعالى، يُبَصِّر دعاة اليوم بمنهج الدعوة وطريقِها»(١).

جـ ـ ومن مظاهر الحكمة في موقف جعفر كذلك؛ إدراكه أن النجاشيّ صاحب دين، وليس رجلا وثنيًا، الأمر الذي جعله يضمِّن كلامَه عباراتٍ تُلامِس الجانبَ الدينيَّ في نفسه.

فقد جاء في بعض الروايات أن جعفرا لما استأذن على النجاشيّ وعنده عمرو بن العاص، وعُمارة بن الوليد، «صاح جعفرٌ على الباب: يستأذن حزب الله. فسمعها النجاشيّ، فأذن لهم، فدخلوا عليه، فلما دخلوا وعمروٌ وعُمارةُ عند النجاشيِّ، قال: أيكم صاح عند الباب؟ فقال جعفر: أنا هو. فأمره، فعاد لها»(٢).

وفي رواية أخرى عن عمرو بن العاص، أنه وجعفرًا طلبا الإذن

(1) فقه السيرة النبوية . منير الغضبان . ص ١٥٨ .

(2) مغازي رسول الله ﷺ. لعروة بن الزبير . ص ١١١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالدخول على النجاشيّ في وقت واحد، قال عمرٌو: «فلما أتيتُ الباب ناديتُ: ائذن لعمرِو بنِ العاص، ونادى [أيْ جعفر] خلفي: ائذن لحزب الله عز وجل، فأذِن له قبْلي فدخَل ودخلْت»(١).

«فقد لامَس بحكمةٍ ولباقةٍ واعيةٍ الجانبَ الدينيَّ في نفس النجاشيّ، ومِن أجْلها لم يتمالك النجاشيُّ نفسَه من الإذن بلا وعي، فهل يتأخر عن الإذن لحزب الله؟! ولانسجامه مع هذا النداء الذي لامَسَ أوتارَ قلبِه، طلب ثانية إعادةَ الاستئذانِ من الرّجُل الذي صرَخ (حزب الله يستأذن عليك)»(٢).

سادسا: عفة اللسان، والترفع عن سوء الخُلق:

إنّ مِن سمات الداعي إلى الله تعالى أن يكون عفَّ اللسان، متنزِّها عن البذاءة والسِّباب، متأدِّبا بأدب الإسلام الذي يدعو إليه، مهتديا بهدْي الرسول ﷺ، الذي لم يكن لعّانا ولا فحّاشا، ولم يكن يتطاول أو يَبْذُو على أحد.

وهذا من أدب القرآن الذي سَنّه للدعاة في علاقتهم بالمدعوين، كما نلمحه في مناسبات دعوية عديدة، منها ما وجّهَ اللهُ تعالى إليه الرسولَ ﷺ أن يقوله للكفار - كما في قوله سبحانه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سبأ].

---

(1) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٢٨ ـ ٢٩ . من حديث طويل برواية عمير بن إسحاق عن عمرو ابن العاص . وعزاه إلى الطبراني والبزار، وقال : وعمير بن إسحاق وثّقه ابن حبان وغيره، وفيه كلام لا يضر، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(2) فقه السيرة النبوية . منير محمد الغضبان . ص ١٦٤ باختصار.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنها حديث موسى عليه السلام مع فرعون لعنه الله، حيث كان موسى في غاية التأدّب والتعفّف في القول مع فرعون بالرغم من سوء أدب الأخير، وبذاءته في حق الله تعالى، وحق رسوله موسى ﷺ، وقد حكى الله هذا في كتابه الكريم، حيث قال سبحانه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الشعراء].

ونظائر هذا الأمر وشواهده في القرآن والسنة كثيرة، لا يتسع لها المقام.

ولقد كان جعفر رضي الله عنه على حظ عظيم من الأدب، وحسن الخلق في الدعوة إلى الله، ولا عجب ؛ فقد شهد له الرسول ﷺ باقتباس خُلُقه من مشكاة النبوية، بمشابهة خُلُقه لخُلُق النبيّ ﷺ، وهو ما ظهر جليّا في موقفه العظيم أمام النجاشيّ، في مواجهة رسوليْ قريش، حيث كان عفّ اللسان، مترفِّعا عن أسلوب التجريح، أو السبّ الشخصيّ .

لقد راح جعفر يفنِّد ادعاءات سفيريْ قريش، ويهدم معتقدات الجاهلية التي يتحدّثان باسمها، ويدافعان عنها، ويعرِض دعوة الإسلام، دون أن يمسّ شخصيْهما بكلمة جارحة، أو ينال منهما بوصف مشين، مع أنهما جاءا يسْعيان لإبادة المسلمين واستئصالهم، وإيقاع أشنع الأذى بهم، من خلال المطالبة بإرجاعهم إلى قريش، وتعريضهم في مكة للفتنة والاضطهاد، وسوء العذاب، بالإضافة إلى أنهما قد سبقا بِسببّ المسلمين المهاجرين إلى الحبشة والتطاول عليهم ـ بمن فيهم جعفر ـ أمام النجاشيّ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبطارقته وحاشيته، حيث وَصَفُوا المسلمين بأنهم «غلمانٌ سفهاء، فارقوا دين قومهم».

ولعلّه بهذا الخلق العالي، والسلوك المؤدّب استطاع أنْ ينجح في تحييد أحد رسوليْ قريش، وهو عبد الله بن أبي ربيعة، أوْ أن يجعله أقلّ عداءً للمسلمين، وأقلّ رغبةً في إيقاع أشدّ الأذى والضّرِّ بهم، كما نلمح هذا فيما أخبرتْ به أم سلمة- رضي الله عنها- إذْ قالتْ: «فلما خرجا [أيْ رسولا قريش] من عنده [أيْ النجاشيّ] قال عمرو بن العاص: والله لآتينَّه غدا عنهم بما أَستأصِل به خَضْراءهم(١)، قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة ـ وكان أتقى الرَّجُلين فينا ـ: لا تفعل، فإن لهم أرْحاما، وإن كانوا قد خالفونا».

إن جعفرا ﷺ لم يكن معْنيًّا بشخص الرسولين اللذين أوفدتْهما قريش، بقدر ما كان معنيًّا بإبطال دعواهما، وإفشال مسعاهما، وتخريب ما خطّطت لأجله قريش، الأمر الذي تطلّب منه أن يتناسى ما نال شخصَه من تجريح، وأن يُركِّز الجهد في الأمر الأخطر، كيْ لا ينْجَرّ إلى معارك جانبية، تغْلِب عليها الخصومة الشخصية، التي قد تطغى مع الوقت وتتضخّم على حساب المعركة الأصلية، والخصومة الأساسية ؛ معركة الحق مع الباطل، ومواجهة الإسلام للجاهلية، وأن يحاول بقدر المستطاع ألا يستعديَ رسولي قريش عليه أكثر، أو أن يزيد من عداوتهما التي يحملانها، وهذا كلّهُ يتحقق بعدم تناول شخصيْهما بالتجريح، وأن يَربَأ بنفسه عن لغة السب والشتم في

(١) أَستأصِل: أي لا أدَع لهم أصلا . خَضْرَاءهم: سوادهم ومعظمهم . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢/ ٣٩٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك الموقف.

وفي هذا درْسٌ على جانب كبير من الأهمية للدعاة اليوم، حيث تكثر المواقف التي يواجه الدعاة فيها خصوم الدعوة الإسلامية، وقد يكون مِن أولئك الخصوم مَن هو غير مهذَّب في خطابه ولغته، فعلى الداعية ألا ينجرّ إلى المعارك الشخصيّة، بل عليه أن يُركِّز على هدم الفكرة الباطلة، والدعوة الفاسدة، دون التوقف كثيرا عند شخص قائلها، فهذا أدعى إلى أن يكسب احترام الجمهور، الذي يستمع أو يتابع الموقف، وأدعى كذلك إلى كسب ذات الشخص الذي يتبنى موقفا معاديا للدعوة، بل ربما كانت عفة لسان الداعية، وتغاضيه عن الانتصار لشخصه ضدّ ما قد يُوجَّه إليه من تجريح، مع كلمة طيبة منه سببا في تحوّل شخص ما من العداوة إلى المحبة، وصدق الله جلّ جلاله إذْ قال: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت].

سابعا: الصبر:

إن مهمة الدعوة إلى الله عز وجل لا تخلو من المتاعب والمصاعب، وطريق الدعوة ليست مفروشة بالورود والرياحين، بل هي محفوفة بالمكاره، والسائر فيها عُرْضة للابتلاءات والمحن، ولذلك فإن على الداعية أن يتحلّى بالصبر، ويتسلّح به، وأن يجعل نُصب عينيه سيرة الأنبياء والرسل، الذين دعَوْا أقومهم إلى الله، وقوبلوا بالأذى والعنت، فصبروا حتى أدّوا أمانة الله، وأبْلغوا رسالات ربهم.

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾) [الأنعام].

وإنّ الكفار ليسوا أحقَّ بالصبر على عبادة أوثانهم من أصحاب الدعوة إلى الله، قال تعالى: (وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾) [ص].

قال المفسِّرون: أي اثبُتُوا على عبادتها متحمِّلين لما تسمعونه في حقها من القَدْح، وقيل: إنّ هذا الأمر لَشيءٌ من نوائب الدهر يُراد بنا، فلا حيلة إلا تجرُّع مرارة الصبر، وقيل: الإشارة إلى الصبر المفهوم من «اصبروا»، أي إن الصبر لَشيءٌ مطلوب لأنه محمود العاقبة(١).

«فإذا كان الباطل يُصرُّ ويصبر ويمضي في الطريق، فما أجدرَ الحقَّ أن يكون أشدَّ إصرارًا وأعظمَ صبرًا في المُضيّ في الطريق»(٢).

ولقد تعرّض جعفر ومَن معه من المسلمين- رضي الله عنهم- للابتلاءات والشدائد في سبيل الدين، فتحمّلوا ما لاقوا من محن، وصبروا على ذلك ابتغاء مرضاة الله، ولم تُعِقْ هذه الابتلاءاتُ "جعفرًا" الداعيةَ عن تحمل أعباء دعوته في الحبشة، والتعالي على المحن، ومواجهتها بصبر وثبات، والتفكير والتشاور مع المسلمين بعضهم البعض، والعمل على اجتياز المأزق، وكسر الحصار الذي أراد أن يضربه عمرو بن العاص ومَن معه حول المسلمين، باعتبارهم مجموعة من الخارجين على دين قومهم، ودين المِلك، وأن قريشا والنجاشيَّ يقفان في خندق واحد في

(1) روح المعاني . للعلامة السيد محمود الآلوسي البغدادي ٢٣/ ١٦٧. باختصار . دار إحياء التراث العربي . بيروت، الكشاف . للإمام الزمخشري ٣/ ٣١٧ . دار عالم المعرفة .

(2) طريق الدعوة في ظلال القرآن ١/ ١٩٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مواجهة المسلمين، حتى تهيّأ لهم بتوفيق الله اجتيازُ تلك الشدّةِ وعبورُها بسلام، وتحقيقُ مكاسبَ وأرباحٍ عظيمة للدعوة الإسلامية.

إن الصبر زاد لا غنى عنه لأيِّ سالكٍ لطريق الدعوة، متحمِّلٍ لأعبائها، و«إن أصحاب الدعوات لابد أن يحتملوا تكاليفها، وأن يصبروا على التكذيب بها، والإيذاء من أجلها، فلا بدّ لمن يكلَّفون حمل الدعوات أن يصبروا ويحتملوا، ولا بد من أن يثابروا ويثبتوا، ولا بد أن يكرروا الدعوة ويُبدئوا فيها ويعيدوا، إنه لا يجوز لهم أن ييأسوا من صلاح النفوس واستجابة القلوب، مهما واجهوا من إنكار وتكذيب، ومن عتو وجحود، فإذا كانت المرة المئة لم تصل إلى القلوب؛ فقد تصل المرة الواحدة بعد المئة، وقد تصل المرة الواحدة بعد الألف، ولو صبروا هذه المرة وحاولوا ولم يقنطوا لتفتحت لهم أرصاد القلوب»(١).

«وإن الذين احتملوا في الطريق إلى الله ما احتملوا فلم ينكصوا ولم ييأسوا، الذين صبروا على فتنة النفس وعلى فتنة الناس الذين حملوا أعباءهم وساروا في ذلك الطريق الطويل الشاق الغريب.. أولئك لن يتركهم الله وحدهم، ولن يضيع أعمالهم، ولن ينسى جهادهم، إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضاهم، وسينظر إلى جهادهم إليه فيهديهم، وينظر إلى محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم، وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت]»(٢).

---

(1) طريق الدعوة في ظلال القرآن ١/ ٢٠٥ باختصار.

(2) السابق ١/ ٢٠٧ – ٢٠٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ألا ما أجدرَ الداعية أن يتحلّى بالصبر والنَّفَس الطويل، مستشعرا معيّة الله، كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ومحبة الله له، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، متفائلا بغد باسِمٍ، وفجرٍ جديد، وصُبْحٍ مشْرقٍ للإسلام والمسلمين، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم].

ثامنا: توافر المقومات الفطرية اللازمة لأداء المهمة الدعوية:

هناك مقوِّمات وأسس تبنى عليها، وتتحقق بها شخصية الداعية إلى الله تعالى، وتصنع منه في النهاية ذلك الداعية الحاذق الذي نرتجيه ونؤمِّله.

وهذه المقومات منها ما هو فطريٌّ وهبيٌّ، ومنها ما هو مُكتسَب، فالفطريّ هو ما فطر اللهُ عليه المرءَ، ولا طريق إلى اكتسابه، أو السعي إلى تحصيله، والمُكتسَب هو ما يمْكن للشخص أن يكتسبه ويحصّله، ببذل الجهد والأخذ بالأسباب الموصِّلة إليه، كالتعلّم والتمرّن ونحوهما، وقد أشرنا إلى طائفة منها فيما سبق من هذا الفصل .

أما المقومات الفطرية والموهبة الطبيعية؛ فهي من الأمور الهامة والضرورية للداعية، كي يتمكن من أداء دوره وممارسة عمله الدعوي بفاعلية وتأثير.

فمن هذه المقومات- على سبيل المثال- أن يكون عنده قَدْرٌ مِن الفطنة أو الذكاء يُمكِّنه من استيعاب الأمور المختلفة وإدراكها، ولا نقصد بهذا ضرورةَ أن يكون من النابغين المتميزين في الذكاء - نعم إن وُجد هذا فحسَن- ولكن نقصد أن يكون لديه الحدّ الأدنى منه، بما يجعله قادرا على التفكير وإعمال عقله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في الأمور ـ في دائرة السوية والاستقامة ـ دون الخروج عن هذا الإطار، وإلا فإن الله قد خلق الخلق متفاوتين في قدراتهم العقلية، والذكاء والألمعية.

هذا ؛ وإذا كان لدى الداعية بعض المشكلات أو العيوب الخَلْقية، فليحاولِ التغلّبَ عليها وعلاجَها ما أمكن، فإن كان لديه ـ مثلا ـ عيوب في النطق، تُخِلّ بكونه فصيحا؛ «فليتعهّد نفسه بعلاجها والتخلّص منها، أو التغلب عليها، والتقليل من حجمها، بحيث يصير نطْقُه سليما، أو أدنى إلى السلامة، فيكون أدعى إلى القبول والارتياح»(١).

وجملة القول أن المقومات الفطرية للداعية يُقصد بها أن يكون تكوينه الطبيعي الخِلْقي يسمح له بالقيام بمهمة الدعوة الإسلامية والنهوض بأعبائها، وبعبارة أخرى أن ينتفيَ لدى الشخص وجود الموانع الطبيعية أو العيوب الخَلْقية، التي تعيقه عن تحمّل تبعات الدعوة إلى الله تعالى، وأداء مهامّها وتكاليفها، ولا يكون - مع هذه الموانع - مؤهَّلا لأن يصبح في عداد الدعاة.

ولقد كان جعفر ﷺ متمتِّعا بالصفات الخَلْقية، والمقومات الفطرية التي تؤهِّله للقيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى، والاضطلاع بأعبائها على الوجه الأكمل، ويكفي لأن ندرِك توافر هذه المقومات والصفات لديه أن نقرأ قول النبيّ ﷺ له ـ فيما رواه البراء بن عازب ـ: «**أَشْبهْتَ خَلْقي وخُلُقي**»(٢)، فقد كان في هيئته وسَمْتِه، وجمال خَلْقِه وخُلُقِه صورة محاكية

(1) الخطابة في موكب الدعوة الإسلامية . للمؤلف . ص ٩٣ . ويُراجع فيه أيضا حول هذا الأمر : ص ٨٠ ـ ٨١ . دار الكلمة المنصورة . ط الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

(2) رواه الترمذي في ك المناقب، ب مناقب جعفر بن أبي طالب، رقم ٣٧٦٥، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد من حديث عليّ، رقم ٨٥٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لجمال النبوّة، تحوي في مضامينها كلّ الصفات الفطرية السويّة، والصفاتِ المُكْتسَبة، للداعية الكامل المُوفَّق، الذي تحققت له مؤهِّلات النجاح جميعا.

تاسعا: المهارة في فنون تبليغ الإسلام:

إن للدعوة إلى الله تعالى فنونا وطرائق عديدة، مثل الخطابة والمناظرة والكتابة وغيرها، حريٌّ بالداعية أن يكون مُتْقِنا ومُجيدا لها، ومتمكِّنا منها، وقادرا على استخدامها وتوظيفها ببراعة واقتدار.

والمتأمل في موقف جعفر أمام النجاشي- رضي الله عنهما- يجد أنه قد استخدم أكثر من طريق في الدعوة إلى الإسلام، فنراه قد استخدم الخطابة، والمناظرة، كما كان يحاور ويناقش، بالإضافة إلى وسيلة القدوة، حيث كان مثالا للمسلم الذي تتحقق فيه أخلاق الإسلام وآدابه، وكان- رضي الله عنه- متمكِّنا وماهرا في كل فنٍّ من تلك الفنون.

ولو تأملنا في خطبته - وهي أشهر ما تضمّنه موقفُه بين يدي النجاشي- لبدت لنا بوضوح أمارات المهارة والفصاحة والسموّ والتمكن من ناصية البيان والروعة التي اكتست بها تلك الخطبة.

إن أيّة خطبة يريد صاحبها أن يبلغ بها هدفه لا بد أن تشتمل على عنصرين رئيسين هما **الإقناع والاستمالة**، فبالإقناع يخاطب الداعية عقل المدعو، وبالاستمالة يخاطب مشاعر المدعو ووجدانه وعاطفته، فهما إذن جناحان تطير بهما الخطبة إلى سماء القبول.

وقد حوت خطبةُ جعفرٍ جملةً من الحقائق المنطقية لا يمكن لعاقل - فضلا عن صاحب دين - أن يُغفلها أو يتجاوزها، وقد كانت هذه الحقائق متضمِّنة لمبادئ الجاهلية المنحطة، ومبادئ الإسلام الراقية.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم اشتملت الخطبة على الأسلوب العاطفيِّ الذي لامس قلب النجاشيّ بعد الحقائق التي نفذت إلى عقله، حيث أشار جعفر إلى جوانب من مأساتهم الإنسانية التي صنعتها لهم قريش في مكة، من تنكيل وتعذيب وعدوان وحشيٍّ ظالم، لا لذنب ولا جريرة إلا لأنهم قالوا (ربنا الله)، وهي تريد أن تعيدَ تلك المأساةَ من جديد بمحاولتها إرجاعهم إلى مكة، ثم أشار إلى كونهم غرباء قد انقطعت بهم السبل، يستنجدون بحاكم عادل، وهم قد آوَوْا إلى جواره، يرجون أن ينظر إليهم نظرة عدل ومرحمة.

وبالإضافة إلى اشتمال خطبة جعفر على ركني الإقناع والاستمالة، فإنها قد صيغت في أبلغ أسلوب، وأدق عبارة، وأفصح كلام، وأوضح بيان، وهذا كله قد تجلى في :

- انتقاء الكلمات السهلة، وتجنب التقعر والكلام الغريب.
- الحرص على الإيجاز غير المخل، وتجنب الحشو والاستطراد .
- قِصَر الجمل، مع تضمنها للمعنى المراد مباشرة .
- براعة التصوير، والمهارة الفائقة في الوصف والإيحاء، حيث صوَّر الجاهلية ووصفها وصفا دقيقا يوحي للنفس بالاشمئزاز من مبادئها والنفور من العيش في ظلالها، والعكس صحيح بشأن الإسلام ومبادئه.

ولننظر في تلك الكلمات التي تضمنتها خطبة جعفر - كما جاء في رواية ابن إسحاق:

«أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منّا الضعيفَ.

فكنّا على ذلك؛ حتى بعث الله تعالى إلينا رسولا منّا، نعرف نَسَبَه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وصِدْقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله عز وجل لنوحِّدَه ونعبدَه، ونخلعَ ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرَنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرَنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة (١) والصيام - قالت أم سلمة: فعدّد عليه أمور الإسلام.

فصدَّقناه وآمنّا به، واتبعْناه على ما جاء به من الله، فعبدْنا اللهَ عز وجل وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرّمْنا ما حرّم علينا، وأحلَلْنا ما أحلّ لنا، فعدَى علينا قومنا، فعذّبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان مِن عبادة الله تعالى، وأن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبائث.

فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا؛ خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغِبْنا في جوارك، ورجوْنا أن لا نُظلَم عندك أيها الملك».

ولو تأملنا في المناظرة التي جرت بين جعفر وعمرو بن العاص لوجدنا البراعة والمهارة التي تمثلت في قوة الحجة، والأسئلة الفاصلة التي وجهها جعفر لعمرو، وكانت إجابتها تصب في تقوية موقف المسلمين، وإضعاف موقف جبهة الكفر التي يمثلها عمرو، مع التزام الأدب والموضوعية، والتحلي بالشجاعة والثبات في توجيه الكلام من جعفر رضي الله عنه.

---

(١) قال الإمام الصالحي: قول جعفر للنجاشي رضي الله عنهما: "وأمرنا بالصلاة" أي التي كانت قبل فرض الصلوات الخمس. وقوله: "والزكاة" أراد مطلق الصدقة، لأن زكاة المال إنما فرضت بالمدينة. سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٩٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولنتأمل في طرف من تلك المناظرة - كما جاءت في مغازي عروة ابن الزبير:

« فقام جعفر بن أبي طالب- وكان خطيبَ القوم- فقال:

إنّما كلامي من ثلاث كلمات، إن صدقْتُ فصدِّقْني، وإن كذبْتُ فكذِّبْني.

فأْمُرْ أحدا من الرجلين فليتكلّم ولْينصت الآخَر. قال عمرو: أنا أتكلم.

قال النجاشيّ: أنتَ يا جعفر فتكلم قبله .

فقال جعفر:

إنما كلامي من ثلاث كلمات ؛ سلْ هذا الرجلَ: أَعَبيدٌ نحن أبَقْنا مِن أربابنا؟ فاردُدْنا إلى أربابنا .

فقال النجاشيّ: أعبيدٌ هم يا عمرو؟

قال عمرو: بل أحرار وكرام.

قال جعفر: سلْ هذا الرجلَ: هل أهْرقْنا دما بغير حقه؟ فادْفعنا إلى أهل الدّم.

فقال: هل أهْرقوا دما بغير حقه؟

فقال: ولا قطرةً واحدةً من دم.

ثم قال جعفر: سلْ هذا الرجلَ: أخذْنا أموالَ الناس بالباطل؟

فعندنا قضاء .

فقال النجاشيّ: يا عمرو؛ إنْ كان على هؤلاء قنطار من ذهب فهو عليّ.

قال عمرو: ولا قيراط».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عاشرا: ذاتية الحركة والعمل للدعوة :

ونقصد بذاتية الحركة والعمل أن يبادر الداعية وينهض بفعل أيِّ عمل لصالح الدعوة من ذات نفسه، ومِن منطلق أنه واجب عليه، ومُلزَم به، وإن لم يَطلُب منه أحدٌ ذلك التحرك، إذا كان المقام يتطلب منه هذا الإقدام، وكان يرى في نفسه الكفاءة والأهلية والصلاحية لأداء هذا العمل الدعويّ، الذي تدعو الحاجة إليه.

ولقد كان جعفر ﷺ يتلمّس مصلحة الدعوة، ويتصرف من منطلق أنه داعية صاحب رسالة وهَمٍّ دعوي، فكان ﷺ يمارس العمل، ويزاول الحركة، ويؤدي مهمة الدعوة بذاتية، ورغبة في تحقيق ما فيه مصلحة الدعوة، كما يبدو هذا في موقفه عند النجاشي ﷺ ، حيث جاء في رواية ابن مسعود ﷺ أن النجاشي لما بعث إلى المسلمين؛ قال جعفر لهم: أنا خطيبكم اليوم، فاتَّبَعوه(١)، ولم يكن هذا التصرف منه إلا بدافع الحرص على مصلحة الدعوة، حيث رأى أن هذا هو المناسب في تلك اللحظة، فتقدم وتصدَّى لحمل الأمانة الثقيلة، والتي كان جانب المغرم فيها هو الواضح والمتوقَّع، بل لم يَبْدُ أن فيها مغنما قط، وكان حاله كحال يوسف عليه السلام، عندما عَرَض على الملِك أن يتحمل تدبير شئون أهل مصر الاقتصادية في عصره، كما حكى الله ذلك عنه في القرآن الكريم: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف]، ولم يكن هذا الطلب من يوسف ﷺ رغبة أو طمعا في المغنم، كلا؛ بل كان محاولة منه لإنقاذ بلد يشرف على الهلاك، وهي مسئولية محفوفة بالمكاره والمتاعب، وهل التصدِّي لتحملِ

(1) سبق إيراد هذه الرواية وتخريجها، وهي عند أحمد والبيهقي، وقد جوّد ابن كثير إسنادها .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إدارةِ خزينةٍ فارغة، وإطعامِ شعب خاوي البطون تكتنفه المجاعة، وتدبيرِ أقواته في محنة عاصفة، ومخمصةٍ مُهلِكة إلا ضربا من التضحية، وحملا لهمومٍ تدكّ الجبال، وتقطع أنفاس الرجال؟!

وهكذا تحرّك جعفر من منطلق شعور ذاتيّ بضرورة الحفاظ على الدعوة وأهلها، وإنقاذ الموقف، وتخطِّي تلك الأزمة التي توشك أن تصبح كارثة مروِّعة، تسفر عن مصائب لا يعلم إلا اللهُ مداها، لا من منطلق أنه موظف أو مكلَّف، يؤدي عمله الدعوي لأنه فُرِض عليه، أو أنّ الظروف ألجأته لامتهان هذا العمل وتلك المهنة - كما هو حال كثيرين من الموظفين في مجال الدعوة والشئون الإسلامية في كثير من الأقطار العربية الإسلامية.

ولا يتبادرنّ إلى ذهن القارئ الكريم أننا هنا نعيب أن يكون الداعية موظَّفا، أو ننتقص مِن كونه كذلك.. معاذ الله ؛ بل هذا قد يكون هو الأنسب في كثير مِن الأحيان، إذا كان سيتحقق من خلاله أن يُكْفَى الدعاةُ في أمر المعاش والرزق، على نحو يهيِّئ لهم الأسباب لأداء عملهم الدعوي، ولكننا نقصد أن لا يكون أداء الداعية بروح الموظف المكلف؛ الذي لا يتحرك في ميدان الدعوة ولا ينهض لأي عمل إلا من منطلق أداء التكليف الوظيفي، وتنفيذ الأوامر والتعليمات، بل ينبغي- مع هذا- أن يتحرك برغبة نفسية شديدة، وذاتيّة قوية، وسعادة غامرة لأنه ينال بعمله هذا رضا الله، مستشعرا أن الله تعالى قد اختاره ووفقه لهذا العمل، وجعله سببا للعلم والهداية إلى صراط الله المستقيم.

إن الداعية الذي يعمل في حقل الدعوة برغبة؛ ويتحرّك بذاتية لا شك

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في أنه يُنتِج ويؤثِّر ويُثْمر، أكثر مِن الذي يعمل لمجرِّد أنه مكلَّف، لا ينهض للعمل الدعوي إلا إذا جاءته الأوامر والتكليفات.

إن الواقع المؤلِم أن هناك بعضَ مَن يعملون في ميدان الدعوة، يعتبرون أنفسهم موظَّفين وليسوا أصحاب رسالة، ولذا نراهم لا يتفاعلون مع مشكلات الدعوة وهمومها، ولا يعيشون لها بكل كيانهم، فلا يشغلون أنفسهم بالتفكير في وسائل النهوض بها، وكيفية التغلب على العقبات التي تعترض مسيرتها، ولا يهتمون بالنزول إلى الميدان وتحسس أحوال المدعوين، وتفقد واقعهم واتجاهاتهم، فيكون التعامل على بيّنة وبصيرة، وفي ضوء الواقع وعلى الطبيعة.. وهكذا ؛ إنهم- مع الأسف- ليسوا كذلك، ولا نِصْفَه ولا رُبْعَه، بل مجرد موظفين مكلَّفين بعمل ما هنا أو هناك، وكلُّ هَمّ الواحد منهم أن ينفُض عن كاهله ما كُلِّف به من خطبة جمعة أو نحوها، ويلقيَه على أيّ وجه، وكيفما اتفق، حتى يكون في نظر رؤسائه قد أدَّى ما يستحق عليه المكافآت والحوافز والمرتَّبات، والله المعافي.

إن مثل هؤلاء لا تنهض بهم الدعوة، ولا تتحقق بأيديهم أهدافها وطموحاتها وخططها، كما أنه لن يوجد لهم في قلوب الناس مكان أو مكانة، وشتان بينهم وبين أصحاب الدعوة المخلِصين، الذين يحملون بين جوانحهم رسالة، ويستشعرون أن في أعناقهم أمانة، يبذلون ما في وسعهم لخدمتها وأداء تكاليفها وتبعاتها على أكمل وجه، كي يرضى الله عنهم، وكي يُمكَّن لدين الله في الأرض، ونُصْب أعيـنِهم وفي أذهانهم حال الداعي الأول ﷺ، الذي كان يتألم، ويكاد فؤاده الشريف ﷺ ينفطر حزنا، بسبب إعراض قومه وصدودهم عن دعوة الحق التي جاء بها، حتى قال

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

له ربه جل وعـلا: (فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ [1] نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾) [الكهف] ، (لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾) [الشعراء: ٣].

إننا نكاد أن نقول بأن هدهد سليمان عليه السلام كان أكثر همًّا بالـدعوة وحملا لأعبائها، وأكثر ذاتيّة في الحركة والعمـل لهـا مـن بعـض العـاملين في مجال الدعوة اليوم، عندما نقَل لسليمان عليه السلام ما رآه وأهَمّه من حـال ملكـة سـبأ وشـعبِها، الـذين كـانوا يمارسـون طقـوس الكفـر ويـسجدون للشمس من دون الله رب العالمين!

قال تعالى: (فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٦﴾) [النمل].

لقد نقل الهدهد ما رأى لنبي الله سليمان، وأوقفه على تلك الحال التي كان عليها أهل سبأ كي يتخذ التدابير المناسبة لتغيير هذا المنكر الذي أحاطه علما به، ولو لم يكن الهدهد مهموما بالدعوة، إيجابيًّا [2] في العمل لها؛ لكان قد مرَّ على أهل سبأ وهم متلبِّسون بالكفر والسجود للشمس،

---

(1) البَخْع : قتل النفس غمًّا . مفردات ألفاظ القرآن . الراغب الأصفهاني . ص ١١٠. تحقيق صفوان داوودي . دار القلم . دمشق . ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

(2) كلمة الإيجابية يستخدمها كثير من الدعاة حديثا، ويعنون بها ما يعنون بالذاتية، أي: أن يستشعر الداعية المسئولية، وينهض بأداء الواجبات والتكليفات الدعوية من ذات نفسه، ومن منطلق الشعور بأنه مسئول أمام الله تعالى أوّلا وقبل كل أحد، ويجعلونها في مقابل السلبية واللامبالاة وما ينتج عن هذا أو يصاحبه من ضعف الشعور بالمسئولية والحركة، والخمول، وعدم أخذ زمام المبادرة في العمل للدعوة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دون أن يثير انتباهه أو يلفت نظره شيء، ولَمضى وكأن الأمر لا يعنيه، خاصة وأنه لم يكن مكلَّفا، أو (مومظَّفا) في مجال الدعوة، فما كان عليه من جُناح لو هزّ رأسه وحرّك جناحيْه، وتابع رحلته أو نزهته.. لكنها الذاتية والحرص على مصلحة الدعوة، والعمل للنهوض بها قدر الاستطاعة.

ولقد كان من ثمار تلك الذاتية والهمة العالية في تحرّي مصلحة الدعوة لدى الهدهد وبركاتها أنَّ ملِكة سبأ دخلت في الإسلام، وآمنت بالله رب العالمين (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾)[النمل].

فلله درُّ ذلك الهدهدِ المبارك .

وبعد: فتلك كانت ملامح الداعية المسلم الناجح كما قرأْناها في شخصية جعفر بن أبي طالب ﷺ ، والتي ينبغي على كلِّ مُشْتغِلٍ بالدعوة إلى الله تعالى أن يسعى للتحقق بها، كي ينفع دعوته وأمته.

ولقد استطاع جعفر ﷺ أن يوظف تلك الصفات والمؤهِّلات لصالح دعوتِه وإخوانِه خير توظيف، فأثمر هذا بفضل الله رِبْحا عظيما، وحقق مكاسب غالية وثمينة للدعوة وللمسلمين في الحبشة حينذاك، وهي مكاسب جديرة بأن نشير إلى أبرزها، مع بيان أهميتها وفائدتها للدعوة الإسلامية، وهو ما نبينه في الفصل التالي.

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثالث

أهمُّ ما ربِحتْه الدعوة الإسلامية في الحبشة

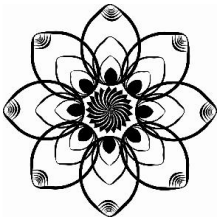

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أهمُّ ما ربِحتْه الدعوة الإسلامية في الحبشة

لقد حققت الدعوة الإسلامية مكاسب ونجاحات عظيمةً في الحبشة، إثْر موقف جعفر بن أبي طالب في مواجهة رسولَيْ قريش، وخطبتِه الفذّةِ أمام النجاشيّ، وهي مكاسب في غاية الأهمية للدعوة والمنتسبين إليها، ونشير إلى أهم ما ربِحتْه الدعوة، وإلى أهميتها، على النحو التالي:

أولا: فشل خطة قريش لإرجاع المهاجرين :

لقد كان رفضُ النجاشيِّ ﷺ الصريحُ والقاطعُ تسليمَ المهاجرين لرسوليْ قريش، وخروجُهما من عنده مقبوحيْن مردودا عليهما ما قدّماه مِن رِشوة؛ بمثابة إعلان واضحِ العبارة، قويّ اللهجة عن فشل خطةِ قريش لاسترداد المسلمين المهاجرين، وإرجاعِهم إلى مكة مرة ثانية.

وقد كان هذا الفشل لتلك الخطة النكراء نجاحا عظيما للدعوة الإسلامية حينذاك، حيث إن رجوع المسلمين إلى مكة- لو نجحَتْ قريش في تحقيقه- معناه تعرّضُ المسلمين فيها للفتنة الشديدة، والمحنة القاسية في دينهم، بِيَد الكفار الذين لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة، وخاصة أنه كانت هناك تجارِب سابقة، وممارسات رهيبة، وفظائع ارتكبها كفار قريش بحق من أسلموا، بغية صدِّهم عن الإسلام، وردِّهم إلى عبادة الأصنام، وهذه الممارسات لم تكن مقصورة على فئة العبيد والضعفاء فقط، بل طالت الجميع، حتى الشرفاء كأبي بكر ﷺ ، ومِن قَبْله سيّدُ الخلق ﷺ .

وكُتُبُ السيرة مملوءة بصور فظيعة للتعذيب الوحشيّ الذي وقع على

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المسلمين في مكة، لا لشيء إلا لأنهم قالوا ربنا الله، بل كانت هناك أُسَرٌ بكاملها تُسام سوء العذاب، مثل عمّار بن ياسر، وأبيه، وأمِّه سمية، وأخيه عبدِ الله، وقد كان مِن نتيجة هذا أن مات الأب من شدة التعذيب، وسقطت الأمُّ شهيدة بيد عدوّ الله "أبي جهل" لعنه الله(١)،وغيرهم كثير من الصحابة- رضي الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق - في ذِكْر عدوان المشركين على المستضعفين ممّن أسلم بالأذى والفتنة:

ثم إنهم عَدَوْا على مَن أسلم واتَّبع رسولَ الله ﷺ مِن أصحابه، فوثَبتْ كلُّ قبيلة على مَن فيها مِن المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويُعذّبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبِرَمْضاء مكة إذا اشتدّ الحرّ، مَن استَضعَفوا منهم يَفْتِنونهم عن دينهم، فمنهم مَن يُفتَن مِن شدّة البلاء الذي يصيبه، ومنهم مَن يَصْلُب لهم، ويَعصمُه الله منهم(٢) .

وكان "أبو جهل" الفاسقُ الذي يُغْري بهم في رجال مِن قريش، إذا سمِع بالرجل قد أسلم، له شرف ومَنَعَة، أَنَّبَه وأخزاه، وقال: تركْتَ دين أبيك وهو خير منك، لَنُسَفِّهَنَّ حِلْمَك، ولَنُفَيِّلَنَّ رأْيك(٣)، ولَنَضَعَنَّ شرَفَك، وإن كان تاجرا قال: والله لَنُكَسِّدَنّ تجارتك، ولَنُهْلِكَنّ مالك، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به .

وعن سعيد بن جبير، قال: قلتُ لعبد الله بن عباس: أكان المشركون

---

(1) راجع : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد . للصالحي ٢/ ٣٦٠ .

(2) السيرة النبوية ١/ ٣١٧ .

(3) أي لَنُقَبِّحَنّه ونُخَطِّئه . السابق ١/ ٣٢٠ مِن حواشي المحققين .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يَبْلُغون مِن أصحاب رسول الله ﷺ مِن العذاب ما يُعْذَرون به في تَرْك دينهم قال: نعم والله، إنْ كانوا لَيَضربون أحدهم ويُجيعونه ويُعَطِّشونه حتى ما يقدِر أن يستوي جالسا مِن شدّة الضُّرِّ الذي نزل به، حتى يُعطيَهم ما سألوه مِن الفتنة، حتى يقولوا له: أَلّلاتُ والعزّى إلهُك مِن دون الله؟ فيقول: نعم، حتى إن الجُعْل لَيَمرّ بهم، فيقولون له: أهذا الجُعل إلهُك مِن دون الله ؟ فيقول: نعم، افتداء منهم مما يبلغون مِن جَهده(١) .

وهكذا يتبين لنا أن نجاح "جعفر" في إفشال خطة قريش لإعادة المهاجرين إلى مكة؛ كان مكسبا عظيما للدعوة ولأهلها، ومغنما لا يُستهان به.

ثانيا: إيجادُ بيئة للمسلمين يأمنون فيها على أنفسهم ودينهم :

ولقد كان من المكاسب التي تحققت للدعوة الإسلامية وأهلها ؛ إيجادُ وتوفيرُ جوٍّ من الحرّية والأمن للمسلمين، وبيئةٍ يأمنون فيها على أنفسهم من بطش الكفار وأذاهم واضطهادهم وملاحقتهم، ويأمنون فيها كذلك على دينهم، فيستطيعون أن يُؤدُّوا شعائرَ الله، ويلتزموا بشرائعه، ويتمكنوا من عبادة ربهم دون أن يتعرّض لهم أحد .

وقد كان هذا المكسبُ ذاتُه مِن أبرز الدوافع والأهداف التي كانت وراء هجرة المسلمين إلى الحبشة مرتين، كما جاء فيما أوردنا من روايات سابقة.

وقد كان تحقُّقُ هذا المكسبِ حينذاك بدرجة كاملة، وعلى لسان النجاشيِّ نفسِه، حيث أعلن أنهم آمنون، بل إنه لم يكتف بمجرد إعلان

(١) السيرة النبوية ١/ ٣٢٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تأمينهم، فقرر أن من يتعرّض لهم بسبٍّ أو مضايقة يُغرَّم، حيث قال: اذهبوا فأنتم شُيُومٌ بأرضي ـ والشُّيوم: الآمنون ـ مَن سبّكُم غَرِم، ثم قال: مَن سَبَّكُم غَرِم، ثم قال: مَن سَبَّكُم غَرِم، ما أُحِبُّ أنّ لِي دَبْرًا مِن ذهب، وأنِّي آذيتُ رجلا منكم - قال ابن هشام: ويُقال دَبْرَى من ذهب[1]، ويُقال: فأنتم سيوم، والدَّبر (بلسان الحبشة): الجبل[2].

وفي رواية أخرى عن جعفر ﷺ، أن النجاشيّ ﷺ قال للمسلمين: أيؤذيكم أحد؟ قالوا: نعم. فأمر مناديا فنادى: مَن آذى هؤلاء فأغرِموه أربعة دراهم. قال: يكفيكم؟ فقلنا: لا. فأضْعَفَها[3].

وفي رواية أنه قال: «مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نجد في الإنجيل، وإنه الرسول الذي بَشّر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحملُ نعليه، وأوضِّئه، وأمَر بهدية الآخرين فرُدّت إليهما»[4].

بل جاء في بعض الروايات أنه قال: «مَنْ نَظَرَ إِلَى هَؤُلاءِ الرَّهْطِ نَظْرَةً يُؤْذِيهِمْ بِهَا فَقَدْ غَرِمَ»[5].

إن هذا المكسب لهُو - بحق - إنجاز عظيم، وهو مطلب جوهريّ، لا

---

(1) ذكر ابن الأثير أن معنى (دَبْرَى) ـ بالقصر: اسم جبل. النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٩٩.

(2) سبق إيراده ضمن رواية أم سلمة - رضي الله عنها.

(3) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٢٩، وعزاه إلى الطبراني.

(4) رواه أحمد في المسند. رقم ٤٣٨٦ (موسوعة شركة حرف)، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٩٨، وابن سيد الناس بسنده في عيون الأثر ١/ ٢١٢ – ٢١٣. وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٦٩، وقال: وهذا إسناد جيد قوي، وسياق حسن.

(5) الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر ص ١٣٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

غنى عنه للدعوة وأهلها في أيّ زمان أو مكان، وهو أمر يجب أن يُلتمَس ويُسعى إلى تحقيقه، من أجل مصلحة الدين والدنيا معا، حيث إن الناس لا يستطيعون العيش بشكل طبيعيّ، ولا أن يمارسوا شعائر دينهم، ويطبقوا شرائعه كما ينبغي، في ظل انعدام الحرية والأمن، وكذلك فإن الدعوة الإسلامية تتعرض لخسارة أعداد من أصحابها، فضلا عن تعرّضها لضعف نموّها بسبب قلة الداخلين فيها، نتيجة لانعدام الحرية، وفقْد الأمن على الحياة.

ولهذا فإن الإسلام يطلب من المسلم الذي يتعرض للفتنة في دينه، وهو مستضعَف مقهور في مكان ما ؛ أن يحاول البحث عن الخلاص مما هو فيه، ويسعى بكل الطرق الممكنة لتجنب الفتنة في الدين، بأن ينتقل إلى أرض أخرى يأمن فيها على نفسه ودينه، لأن خَسارة الإيمان وضياع الدين أعظم خَسارة تصيب الفرد والجماعة، فعليه حينئذ أن لا يؤْثِر البقاء في الأرض التي يتعرض فيها للفتنة في الدين، على الهجرة إلى أرضٍ غيرها يمكن أن يتجنب فيها تلك الفتنة، وإلا فقدْ لحقه الإثم، ما لم يكن غير قادر- حقيقة - على الهجرة، بوجه من الوجوه، فالوطن ليس أغلى من الدين .

قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾) [النساء: ٩٧ – ١٠٠].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال السهيلي ـ في معرض تعليقه على حديث المهاجرين مع النجاشي، وما قاله جعفر ـ :

«وفيه من الفقه: الخروجُ عن الوطن، وإن كان الوطنُ مكةَ- على فضلها- إذا كان الخروج فرارا بالدين، وإن لم يكن إلى إسلام، فإن الحبشة كانوا نصارى يعبدون المسيح، ولا يقولون: هو عبد الله، وقد تبين ذلك في هذا الحديث، وسُمّوا بهذه مهاجرين، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق، فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وجاء في التفسير: أنهم الذين صلَّوا القبلتين، وهاجروا الهجرتين، وقد قيل أيضا: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان .

فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كفر، لما كان فعلهم ذلك احتياطا على دينهم، ورجاء أن يُخلَّى بينهم وبين عبادة ربهم، يذكرونه آمنين مطمئنين، وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر في بلد، وأُوذي على الحق مؤمِنٌ، ورأى الباطل قاهرا للحق، ورجا أن يكون في بلد آخر- أيّ بلدٍ كان- يُخلَّى بينه وبين دينه، ويُظهِر فيه عبادة ربه، فإن الخروج على هذا الوجه حَتْم على المؤمن، وهذه الهجرة التي لا تنقطع إلى يوم القيامة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] »(١).

ثالثا: ربح النجاشيّ وضمُه إلى صف الدعوة :

إن كوْن الدعوة الإسلامية تربح وتضمُّ إلى صفّها مَلِكا حاكما ؛ لهو أعظمُ نجاح حقَّقتْه الدعوة في ذلك الوقت، حيث كان مِن ثمار موقف جعفر بن

(١) الروض الأنف ٣/ ٢٥٥ – ٢٥٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أبي طالب رضي الله عنه في مواجهة رسوليْ قريش؛ أن أسلمَ النجاشيُّ رضي الله عنه، وآمَن بالله تعالى ربًّا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولا، ووفّقه الله إلى الثبات على إسلامه وعقيدته، حتى لقِيَ ربه، وصلى عليه النبيُّ ﷺ صلاة الغائب، حينما بلغه نبأ وفاته - كما سبق أن ذكرنا عند الحديث عن سيرته.

إنّ رِبْح أيِّ شخص- فضلا عن أن يكون مَلِكا حاكما- وضَمَّه إلى صفّ الدعوة الإسلامية، إنما هو بمثابة لَبِنَة فُكَّتْ مِن بُنيان الجاهلية، وأُضيفتْ إلى صرح الإسلام، وهي ولا شكّ يَنْتج عنها مع مثيلاتِها ضعفٌ للبنيان الجاهليّ، وقوّةٌ للصرح الإسلاميّ، وهو أمر لا يُستهان به، ولا ينبغي التقليل مِن شأنه، ولذلك كان كفار قُريش يحزنون أشدَّ الحُزن وأعظمَه، عندما يعلمون بأن أحدا من الناس أسلم، واتبع دين الحق، مع رسول الله محمد ﷺ، ويتناقلون الأحاديث في أنديتهم ومجالسهم بأن فلانا قد صبأ، وما هذا إلا لأنّ الأمر يُزعجهم ويقلقهم، مهما كان شأن مَن أسلم لله، وكفَر بالأصنام.

ثم إن الرسول ﷺ يُخبر بأن اهتداء شخص واحد للدين الحقّ أمر له اعتباره وأهميته، كما أن له التقديمَ والأولويةَ في ميزان الإسلام.

ففي غزوة خيبر عندما أعطى النبيُّ ﷺ اللواء إلى عليٍّ رضي الله عنه، ووجّهه لقتال اليهود ؛ أوصاه أن يدعوَهم إلى الإسلام قبل مقاتَلتهم، فقال- فيما يرويه سهلُ بنُ سعد الساعديُّ رضي الله عنه: «انفُذْ على رِسْلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله تعالى فيه، فوالله لأن يهديَ الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمُر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النَّعم»(١).

ولم يكن إسلامُ النجاشيّ ﷺ بالأمر العاديّ، أو الهيّن، بل كان ذا شأن عظيم، وفوائد جليلة للدعوة الإسلامية وأهلها.

إنه كان رِبْحا لنصيرٍ قويٍّ ومخلصٍ للدعوة، حريصٍ كلَّ الحرص على مصلحة الإسلام والمسلمين، ومتيقِّظٍ لأيِّ خطر أو مكروه قد يصيب إخوانَه في الدين، فيعمل على دفعه عنهم، كما حدث عندما اجتمعت الحبشة وخرجوا عليه بسبب إسلامه، حيث جهَّز للمسلمين سفينة تحملهم في النِّيل، يستطيعون أن يُغادروا بواسطتها الحبشة في الوقت المناسب، إلى حيث لا يُصيبهم أذى(٢)، بالإضافة إلى أن موقعه كحاكم يتربع على قمة هرم السلطة التنفيذية ؛ يمكِّنه من معاقبة مَن يؤذي المسلمين أو يسيء إليهم .

ولا شك في أنّ إسلام النجاشيّ- رضي الله عنه- قد أدخل السرور على نفوس المسلمين في الحبشة، ورفع من معنويّاتهم، وزاد من إيمانهم ويقينهم في دينهم، وثباتِهم على الحق الذي ضحَّوا من أجله، وتركوا ديارهم في سبيله، وكذلك رفع من معنويات إخوانهم في مكة، وأدخل الفرح عليهم، وشدّ من أزرهم في الثبات على الإسلام ضدّ البطش والطغيان.

---

(1) رواه البخاري في ك الجهاد والسير . ب دعاء النبي ﷺ الناس . رقم ٢٩٤٢، وفي ب فضل مَن أسلم على يديه رجل. رقم ٣٠٠٩، وفي ك المناقب . مناقب عليّ بن أبي طالب رقم ٣٧٠١، وفي ك المغازي ب غزوة خيبر رقم ٤٢١٠، ومسلم في ك فضائل الصحابة ب مِن فضائل عليّ بن أبي طالب رقم ٢٤٠٦ .

ومعنى على رِسْلك : على هِينَتِك، أيْ أَرْوِدْ قليلا، كما تقول : رُوَيْدك . وجاء فلان على رِسْله : على تُؤَدَته. وتَرَسَّل في قراءته : تمهَّل . أساس البلاغة ص ١٦٢ – ١٦٣.

(2) سبقت الإشارة إلى هذا الموقف عند الحديث عن التعريف بالنجاشي .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي مقابل ذلك فإنه قد أدخل الغمّ والحُزن على نفوس الكفار وأغاظهم، وحطَّ مِن معنويّاتهم.

وقد عاد عمروٌ رسولُ قريش نفسُه - فيما يبدو - مُحْبَطًا، حيث جاء في بعض الروايات أنه: «لمّا قدِم عمرو بن العاص مِن أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرج إليهم، فقالوا: ما شأنه! ما له لا يخرج؟! فقال عمرو: إنّ أَصْحَمَةَ يزعم أنّ صاحبكم نبيّ»(١).

رابعا: فتح آفاق إعلامية خارجية للدعوة :

ولقد كان مما أحدثه موقف "جعفر" بما تضمنه وصاحَبَه في أرض الحبشة ؛ أنّ أمْرَ الإسلام أخذ يفشو وينتشر خارج مكة، وبدأ الناس يتحدثون بأنّ دينا جديدا قد ظهر، وأنّ نبيًّا عربيًّا قد بعثه الله في مكة بهذا الدين، ويتناقلون كثيرا أو قليلا من مبادئه وما يدعو إليه، ولا شكّ أن هذا نصرٌ إعلاميٌّ خطير، وإنجاز عظيم للدعوة الإسلامية في ذلك الوقت .

وقد أتاح هذا الانتشارُ الإعلاميُّ للإسلام ودعوتِه - حينذاك - الفرصةَ للباحثين عن الحقيقة في التفكير بعمق ونزاهة في أمر الدين الجديد، ومِن ثمّ اعتناقِه والدخولِ فيه، لأن أيّ تفكير محايد ونزيه في أمر الإسلام سيكون من نتيجته قبولُ الحقِّ الذي يدعو إليه، وإسلامُ الوجه لله رب العالمين، وهذا ما حدث من بعض النصارى الذين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، يسألونه عن الإسلام، ويستفسرون عن بعض الأمور التي تضمّنها، ثم انتهى حالهم إلى اعتناق الإسلام الحنيف .

قال ابن إسحاق:

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٣٠٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«ثم قدِم على رسول الله ﷺ وهو بمكة، عشرون رجلاً أو قريبٌ مِن ذلك من النصارى، حين بلَغهم خبرُه من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلَّموه وسألوه، ورجالٌ مِن قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا مِن مسْألة رسولِ الله ﷺ، عمّا أرادوا ؛ دعاهم رسولُ الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضتْ أعينُهم مِن الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدَّقوه، وعرَفوا منه ما كان يُوصَف لهم في كتابهم من أمره .

فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بنُ هشام في نفر من قريش، فقال لهم: خيَّبكم الله مِن رَكْب! بعثكم مَن وراءَكم مِن أهل دينِكم تَرْتادون لهم لِتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئنّ مجالسُكم عنده، حتى فارقْتُم دينَكم وصدَّقْتموه بما قال، ما نعلم ركْبا أحمقَ منكم، أو كما قالوا . فقالوا: سلامٌ عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأْلُ أنفُسَنا خيرا»(١).

إنّ فتح آفاق إعلامية للدعوة الإسلامية داخليّا وخارجيّا أمْرٌ لا غنى عنه للدعوة في أيّ زمان أو مكان، وينبغي للقائمين على شئونها في عصرنا هذا خاصة، ألا يأْلوا جهدا في توفير الوسائط الإعلامية اللازمة لنشر الإسلام وتبليغه إلى العالم، بالمستوى اللائق برسالة الإسلام الربانية العالمية، ويجب أن يعمل الجميع على تغيير الواقع الإعلاميّ الهزيل للدعوة الإسلامية في كثير من البلدان في العصر الحاضر، بالإفادة الكبيرة من تقنيات العصر ومخترعاته في مجال الإعلام وحُسْن توظيفها، حتى يُمْكن

(١) السيرة النبوية ١/ ٣٩١ – ٣٩٢، ورواه البيهقيُّ في دلائل النبوّة ٢/ ٣٠٦ – ٣٠٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وصولُ دعوة الحق وإتاحةُ فرصةِ تبليغ الإسلام إلى الناس كافة، ولطلاب الحقيقةِ والباحثين عنها خاصة، فيهتدي بضياء الحق مَن تبصّر وعرَف.

إنّ هناك جموعا غفيرةً على وجه البسيطة لا يعرفون شيئا عن الإسلام بالمرة، وهناك مثلهم لا يعرفون شيئا عنه إلا من خلال المصادر المعادية له، فلا يَبْلغُهم عنه إلا صورةٌ شائنةٌ كريهةٌ شائهةٌ، وبالتالي يُعرِضون عنه، بل ويصيرون من أعدائه وخصومه، مع أن هؤلاء وأولئك لو أُتيح لهم التعرُّف على الإسلام الحنيفِ بحقيقته النازلةِ من رب العالمين، وبخصائصه التي تجعله صالحا ومُصلِحا لكلِّ زمان ومكان، من خلال إعلام دعويٍّ مؤثِّرٍ وفعّال؛ لَتغيَّرت الأوضاع كثيرا عمّا هي عليه الآن، وتحوّلت لصالح الإسلام ودعوته، ودخل خَلقٌ لا يُحصَوْن في دين الله أفواجا.

خامسا: إثبات أن المسلمين أصحاب قضية عادلة:

ولقد كان من الانتصارات التي أحرزتها الدعوة الإسلامية على يد جعفر ﷺ؛ أنه استطاع ببراعة أن يؤكِّد على أمرٍ في غاية الخطورة والأهمية، ألا وهو أن المسلمين - عامة - والمهاجرين إلى الحبشة - خاصة - إنما هم أصحاب رسالة سامية، وقضيّة عادلة، من أجْلها تركوا الأهلين والوطن، وفي سبيل الحفاظ عليها تجشّموا عناء الهجرة، وتجرّعوا مرارة الغُرْبة، وأنهم ليسوا طائفة من الآبقين، أو الفوضويين الذين يفسدون أينما حلُّوا، كما حاول أن يصوِّرَهم "عمروٌ" ومَن معه .

لقد حاول رسولا قريش أن يصوِّرا للنجاشيّ أن المسلمين المتواجدين في أرض الحبشة إنما هم مجموعة من الغِلمان السفهاء الطائشين، الخارجين على القانون، وأن وجودهم في الحبشة أمْرٌ مِن شأنه أن يهدّد أمن دولة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مترامية الأطراف كالحبشة - في حينه-، وأنهما ما جاءا إلا ليحذِّرا الملك وينذراه فساد مُلْكه، وخراب عمرانه وحضارتِه بسبب أولئك (السفهاء في زعمهم)، وما هذا التحذير والإنذار إلا لمكانة النجاشيّ عند أهل مكة، ومصلحتِه التي تهمهم في المقام الأول والأخير، تقديرا منهم للنجاشيّ، واحتراما للعلاقات الحميمة بينهم وبينه، ولذلك فمن مصلحته ومصلحتهم، ومِن ردّ الجميل لقريش كذلك، ألا يمكّن لهؤلاء المهاجرين، وألا يدَعَهم يَقِرُّون في بلاده، وأن يعمل على تسليمهم لقومهم في الحال.

هذه خلاصة الرسالة التي حرصت قريش على توصيلها للنجاشيّ بحق المسلمين، كما تُستفاد من خلال الروايات التي سبق أن أوردناها، وهي رسالة - للأسف - يحرص خُصوم الدعوة في كل عصر ومصر على طرحها، وإشاعتها والترويج لها ضد المسلمين.

ولقد كان جعفر ﷺ مُوفَّقا غايةَ التوفيق في التصدِّي لهذا الطرح الجائر، وإثبات زيفه وبيان تهافته وبطلانه تماما، فبيّن ما كانوا عليه في الجاهلية من الضلال، وما أكرمهم الله به من الهدى والعلم، من خلال الاهتداء للإسلام، والإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام، والتصديق بما جاء به من عند الله رب العالمين، وأنّ الذي ألجأهم إلى ترك الوطن هو بغي قريش وطغيانها، وعدوانها الوحشيّ على المسلمين، لا لشيء سوى أنهم رضوا بالله تعالى ربًّا لا شريك له، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولا، وبالإسلام دينا وشريعة ومنهاجا، وأن السرَّ وراء اختيار الحبشة قِبْلةَ هجرتِهم، هو ما يتمتع به ملِكها من عدل، ورجاؤهم في أن لا يصل إليهم شيء مما يكرهون، وأن يكونوا في جواره الكريمِ آمنين، وأنهم لا يطمعون في شيء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

غير هذا .

ولنتأمّل في هذا الجانب من حديث جعفر - كما جاء في رواية عروة بن الزبير:

فقام جعفر بن أبي طالب - وكان خطيبَ القوم - فقال:

إنّما كلامي من ثلاث كلمات، إن صدقْتُ فصدِّقْني، وإن كذبْتُ فكذِّبْني، فأْمُرْ أحدا من الرجلين فليتكلّم ولْينصتِ الآخَرُ.

قال عمرو: أنا أتكلم .

قال النجاشيّ: أنتَ يا جعفر فتكلم قبله .

فقال جعفر:

إنما كلامي من ثلاث كلمات؛ سلْ هذا الرجلَ: أعبيدٌ نحن أبَقْنا مِن أربابنا؟ فاردُدْنا إلى أربابنا .

فقال النجاشيّ: أعبيدٌ هم يا عمرو؟

قال عمرو: بل أحرارٌ وكرام .

قال جعفر: سلْ هذا الرجلَ: هل أهْرقْنا دَمًا بغير حقه؟ فادْفعنا إلى أهل الدّم .

فقال: هل أهْرقوا دما بغير حقه؟

فقال: ولا قطرةً واحدةً من دم.

ثم قال جعفر: سلْ هذا الرجلَ: أخذْنا أموالَ الناس بالباطل؟

فعندنا قضاء.

فقال النجاشيّ: يا عمرو؛ إنْ كان على هؤلاء قنطار من ذهب فهو عليّ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال عمرو: ولا قيراط.

فقال النجاشيّ: ما تطلبونهم به؟

قال عمرو: فكنا نحن وهم على دينٍ واحد، وأمْرٍ واحد، فتركوه، ولزِمْناه .

فقال النجاشيّ: ما هذا الذي كنتم عليه فتركتموه وتبعتم غيره؟

فقال جعفر: أمّا الذي كنا عليه فدين الشيطان وأمْر الشيطان؛ نكفر بالله ونعبد الحجارة، وأمّا الذي نحن عليه فدين الله عز وجل، نخبرك: أنّ الله بعث إلينا رسولا كما بعث إلى الذين من قبلنا، فأتانا بالصدق والبِرّ، ونهانا عن عبادة الأوثان، فصدّقْناه وآمنّا به واتبعناه. فلما فعلنا ذلك عادانا قومُنا، وأرادوا قتلَ النبيِّ الصادق، وردَّنا في عبادة الأوثان، ففَرَرْنا إليك بديننا ودمائِنا، ولو أقرَّنا قومُنا لاستقْررْنا، فذلك خبَرُنا(١) .

وهكذا استطاع جعفر بفصاحته، وقوّة حجته، أن يُحطِّم ما نسجه عمرو بن العاص بدهائه وتخطيطه، وأن يمحو ما حاول أن يرسُمه من صورة كاذبة مزيفة للمسلمين، وأن يظهره بأنه وقريشا مِن ورائه لم يكونوا أصحاب مطلب عادل، ولا رسالة مُحترَمة على الإطلاق، بل استطاع أن ينتزع اعترافا ضمنيًّا بأن مطالبة قريش بالمسلمين باطلة، عندما انتزع شهادة من عمرٍو نفسِه بأن المسلمين أطهار برآء من أية جريمة :

فهم ليسوا عبيدا آبقين، لكن أحرار كرام .

وليسوا معتدين مفسدين سفاكين للدماء، لكنهم مسالمون غير

(1) مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير . ص ١١٢ – ١١٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

متهمين في قطرة دم واحدة.

ثم إنهم ليسوا عصابة من اللصوص، أو فاسدي الذِّمم والضمائر، تَسْطُوا على أموال الناس بغير حق دون أن تعبأ بردِّها، لكنهم أطهار متعففون، برآء الذمة من أيّ حق لأيّ أحد .

وعليه فقضيّة قريش جائرة، ورسالتُها رسالةُ بغيٍ وعدوان، وأن المسلمين هم وحدهم أصحاب أعدل قضية، وأسمى رسالة.

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الرابع

المستفاد
من قصة جعفر
للدعوة والدعـــاة

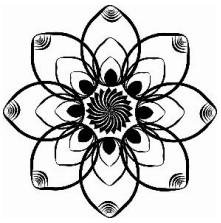

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المستفاد من قصة جعفر
للدعوة والدعاة

إن موقف جعفر بن أبي طالب وخطبتَه أمام النجاشيّ- رضي الله عنهما- في مواجهة رسوليْ قريش، ينطوي على كثير من الفوائد النافعة للدعوة الإسلامية، والقائمين بها، ونشير هنا إلى بعض الفوائد المهمة، عسى أن تكون معالم هادية، وإرشادات مضيئة على طريق الدعوة إلى الله تعالى، مع التنويه بأنها غير منفصلة عما سبق أن ذكرناه في الفصلين السابقين، وذلك على النحو التالي .

الفائدة الأولى: ذاتية الإسلام ودعوته

ونقصد بذاتية الإسلام ودعوته أن مبادئ الدين الحنيف قادرة- بذاتها- على الانتشار، وجديرة بأن يقبلها الناس، ويؤمنوا بها ويعتنقوها، وأن هذا الدينَ العظيمَ يملك الحيوية والقدرة الفائقة على الانتشار، وأنّ دعوته بما تعتمد عليه من منهج، وما تحمله من مضامين قادرةٌ على استمالة الآخَرين وإقناعهم بالانضواء تحت راية الإسلام، إذا وجدتْ قلوبا صافية، خالية من الأهواء، وعقولا متجرِّدة للحق، باحثة عنه، كما كان من حال النجاشيّ رضي الله عنه، وحال وفد النصارى الذين سمعوا بأمر الإسلام في الحبشة، وذهبوا إلى النبي ﷺ يسألونه عن الإسلام، ويتعرَّفون عليه عن قرْب، بتجرد والتماس للحق، ثم عرض عليهم الرسول ﷺ الإسلام فأسلموا .

عوامل ذاتية الإسلام

وهذه الذاتية التي يتمتع بها الإسلام، تعود إلى ما اختُصّ به من خصائص

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لا تتوافر لأيّ دين على وجه الأرض، وهذه الخصائص- على سبيل الإجمال- هي:

١- أنه دين ربانيُّ المصدر، إلهيُّ التشريع، مُنَزَّلٌ من عند الله ربِّ الناس، وخالقِهم، ودينُ الله وشرعُه كمالٌ وعدلٌ كلُّه، ورحمةٌ، وحِكمةٌ، ومصلحةٌ للناس جميعِهم .

٢- وأنه كذلك يتسم بالشمول والإحاطة لجميع ما يحتاجه الناس في أمورهم المعاشية والمعادية، وفي علاقتهم بالله، وعلاقتهم ببعضهم البعض، وعلاقتهم بالكون من حولهم .

٣- وأنه أيضا دين موافق للفطرة الإنسانية، مناسب للطبيعة البشرية، يتعامل مع الناس- من خلال تشريعاته ومبادئه- بواقعية، فلا ينظر إلى البشر على أنهم ملائكة أولو أجنحة، ولا على أنهم شياطين مَرَدة، بل يراعي أن الإنسان مخلوق تتجاذبه نوازع الخير والشر، خاضعٌ للأغيار، من صحة ومرض، ونشاط وكسل، وقوة وضعف، ولهذا كان دينا ملائما للإنسان لأنه قد راعى طبيعته البشرية، ولا عجب فإن الإنسان صَنْعة الله، وقد شرع الله لصنعته ما يتناسب مع طبيعتها ويصلحها، وصدق الله القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك].

٤- ومن عوامل ذاتية الإسلام وخصائصه كذلك أنه دين يتّسم بالوسطية والاعتدال، لا إفراط فيه ولا تفريط .

ولهذه الوسطية مظاهرُ كثيرة، منها- على سبيل المثال- وسطيتُه في تحقيق مطالب الروح والجسد في الإنسان، ووسطيتُه في تلبية مطالب الفرد ومطالب المجتمع، كما هو الحال في تعامل الشريعة الإسلامية مع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الملكية الفردية، ووسطيتُه في التعامل مع الغرائز البشرية في الإنسان، حيث لم يسلك سبيل القضاءِ عليها ومحاربتِها، كما أنه لم يُطْلِق لها العِنان، وغير ذلك من مظاهر الوسطية والاعتدال في الإسلام .

٥- ومن عوامل ذاتية الإسلام وخصائصه أيضا أنه دين لا يتعارض مع العقل في كل ما حوته شريعته، سواء أكان في جانب العقائد، أم العبادات، أم الأخلاق والمعاملات، فما من شيء يدعو إليه الإسلام إلا وهو منسجم مع ما تقرره العقول السليمة، والفطَر القويمة .

٦- ومن تلك الخصائص أيضا أنه دين أراد له مُنزِّلُه ومُشرِّعه أن يكون عالميا، يناسب جميع الناس في سائر الأعصار والأمصار، وفي مختلف البيئات والبلدان .

٧- ولكي تتحقق هذه العالمية تأتي خاصية أخرى وهي أن الإسلام دين تجمع شريعته بين الثبات والمرونة، حيث إنها تشتمل على أمور ثابتة لا تتغير بتغيّر الزمان أو المكان، كالصلاة والحدود ومكارم الأخلاق، وغيرها، وهذه جاءت أحكامها تفصيلية، كما تشتمل شريعته كذلك على أمور فيها مرونة وسَعة، مثل وسيلة تحقيق الشورى، ووسائل الحرب والإدارة ونحوها، وهذه جاءت أحكامها عبارة عن قواعد كلِّيّة، وما يُستجدّ في مجالها من أمور تكون خاضعة لاجتهاد العلماء الراسخين من فقهاء الشريعة الإسلامية، في ضوء ما هو مقرَّر من قواعد وضوابط في هذا الشأن .

٨- ويضاف إلى ما سبق أن الدعوة إلى الإسلام لا تعتمد على ما تعتمد عليه الدعوات إلى الأديان الأخرى، من مناهج غير سويّة ولا شريفة، مثل الإكراه، والكذب أو التضليل، واستغلال ضعف المدعو في جانب ما،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كالجانب الاقتصادي مثلا، كما تنتهج الحركات التنصيرية في العالم، وخاصة في البلاد الإسلامية .

إن الدعوة إلى الإسلام لا تستغل ضعف الناس، ولا تعتمد الإكراه منهجا دعويًّا، وهذا بيّن في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ [التوبة].

كما أنها تخاطب عقل المدعو ووجدانه بشفافية ووضوح، بل تطلب من المدعو أن يُعمِل عقلَه فيما يُعْرَض عليه، وأن يُفكِّر بهدوء وروِيّة، بعيدا عن أيّة مؤثِّرات ؛ داخلية كانت أم خارجية .

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦﴾ [سبأ].

ولقد أدرك أعداء الإسلام وخصوم الدعوة قديما وحديثا هذا السرَّ في الإسلام، وعرفوا أنه دينٌ لو خُلِّي بينه وبين المدعوين- أيًّا كان حالهم- لما تردّد أحد في اعتناقه، والإيمان به عقيدة ومنهجا، ولذلك عملوا جاهدين على صدّ الناس عنه، والحيلولة دون وصول صوت الدعوة الإسلامية إلى المدعوين بشتى الطرق، فتارة باستخدام البطش والقوة الغاشمة، وأخرى بالتشويش والتشكيك، وثالثة بالتشويه المعتمِد على الكذب والتضليل، وتاريخُ الدعوة الإسلامية مليء بصور كثيرة لهذه الطرق التي سلكها الخصوم، حتى لا يُتيحوا لأحد فرصة سماع الدعوة، لأنهم يعرفون أن النتيجة ستكون حتما لصالح الإسلام .

وهذا يُلْقي على المسلمين في العصر الحاضر مسؤولية العمل على إسماع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدنيا صوت الدعوة الإسلامية، وإبلاغ مبادئ الإسلام بصفائها ونقائها إلى العالمين، وإتاحة الفرصة للبشرية الحائرة اليوم لمعرفة الإسلام على حقيقته التي جاء بها الرسول ﷺ من عند رب العالمين، وكسرِ الطوق الذي يفرضه الخصوم على الإسلام، خاصة في المجال الإعلامي، والأخذِ بكل الوسائل الممكنة لإشراك الناس في خير الإسلام وهداه (حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ) [الأنفال: ٣٩].

هذا ؛ وإذا كان الإسلام يختص بالذاتية- على نحو ما أشرت- فليس هذا يعني أن نشره والدعوةَ إليه لا يحتاج إلى الأخذ بالأسباب اللازمةِ لذلك، بل لا بد من بذل الجهود، والتذرّعِ بكل الطرق والوسائلِ المشروعةِ لدعوة الناس إليه، والعملِ على اعتناقهم له، فهكذا قدّر الله تعالى أن يُنصَر الدينُ ويُنشَر بالأسباب، وإلا فإن الله- عز وجل- قادر على نصر دينه دون حاجة لأيّة أسباب، وصدق الله القائل: (وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤) [محمد].

ثم إن من أهم أسباب نجاح الدعوة وأخطرها وجودَ الداعية الماهر.

وهنا يأتي الحديث عن فائدة أخرى من أبرز الفوائد وأهمها في قصة جعفر- رضي الله عنه- ألا وهي أهمية وجود الداعية الحاذق الناجح في حقل الدعوة إلى الله تعالى، على النحو التالي:

الفائدة الثانية: أهمية الداعية وخطورة موقعه

إن موقف جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وجهودَه في الدفاع عن الحقِّ في مواجهة وفد قريش، الذي ذهب إلى النجاشيّ ليطالب بإرجاع المسلمين المهاجرين إلى الحبشة، وردِّهم إلى قريش؛ لهو مِن الأمثلة الدالّةِ أعظمَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دلالةٍ على خطورة وأهميةِ الدَّوْر الذي يضطلع به الداعية في مجال الدعوة إلى الله تعالى، حيث لم يُسْفِرِ الموقف عن تحييد النجاشيّ في موقفه مِن المسلمين فقط، بل إضافةً إلى هذا أثْمرَ كسْبَ النجاشيِّ نفسِه- وهو المِلك الحاكم- إلى صفّ الدعوة الإسلامية، وجعله يعتنقها، ويصبح أحد جنودها المخلصين، مع أن وفد قريش كان يضم داهية العرب وبليغَهم «عمرَو بنَ العاص»، وغير هذا من النتائج العظيمة التي حققتْها الدعوة على يد جعفر ﷺ، وهكذا استطاع ﷺ بمهارته- بعد توفيق الله عز وجل- أن يحقق للدعوة وأهلِها أعظمَ الأرباح، ويجنبها أفدح الأخطار.

أجل؛ إنّ وجود الداعية الماهر في مجال الدعوة إلى الله تعالى أمر يحتل موقعا خطيرا، ويتسم بالأهمية البالغة من بين سائر الأمور أو الأصول الأخرى التي تقوم عليها، وتتحقق بها عملية الدعوة إلى الله عز وجل، نظرا للدور الكبيرِ والمحوريِّ الذي يؤديه هذا الداعية، والعبءِ الذي يضطلع به، فهو عمود الرَّحى، وهو المحرِّك الفاعل والأساسي للعملية الدعوية كلِّها.

أرأيتَ إلى السلعة الجيدة، والبضاعة الحسنة، عندما تعدم المُسَوِّقين المَهَرةَ، والعارضين الحاذقين، كيف تخسر وجودَها، ويهبط لدى الجمهور قدْرُها، وتفقد إقبالَ الناس عليها، أمام بضاعة أخرى تافهة، وسلعة رديئة، تَوَفَّرَ لها مَن يُحسِن على الناس عرضَها، ويتفنن في تزويقها وتزيينِها، بما يتحرى لها مِن أفضل أساليب العرض، ويختار لها مِن أنجح وسائل التسويق!!

وكم من قضية عادلة كان الفشل حليفَها، لا لشيء سوى أنه لم يتهيَّأ لها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من يحسِن عرضها، ويعرف كيف يدافع عنها، وينتصر لها، ويستميل الآخرين ويقنعهم بالوقوف إلى جانبها، وكم من قضية باطلة لاقت نجاحا، بما تهيَّأ لها من أناس استطاعوا أن يُضْفُوا عليها قَبولا ومصداقية، ويجلبوا لها تأييدا وتعاطفا، وما أمْرُ اليهود في الترويج لأباطيلهم وأكاذيبهم في العالم، وتمكّنِهم من إقناع الغرب- بطريقة أو بأخرى- بأحقِّيّتهم في أرض الإسلام والمسلمين؛ القدسِ وما جاورها، وانتزاعِهم اعترافا عالميًّا بما أُقيم لهم من كيان لقيطٍ على أرض الإسراء والمعراج؛ عنا ببعيد، لأنهم قد عرفوا كيف يُسوِّقون ويروِّجون لأفكارهم ومخططاتِهم على مستوى العالم كلِّه، وكيف يدعون إلى قضاياهم، بالأساليب والوسائل الفعالةِ والمؤثرة، بينما- نحن العربَ والمسلمين- قعدنا عن نصرة قضايانا العادلة، وقصّرنا في بذل كافة الجهود، والأخذِ بجميع الأسباب المطلوبة، بل أحيانا تُسنَد مهمة الدفاع عن بعض القضايا إلى من ليسوا أهلا للدفاع عنها، وربما يكونون غير مؤتمَنين عليها، فلا عجب أن أخفقنا في الوصول إلى النجاح، وإحقاق الحق، جزاء تفريطنا وتقصيرِنا.

ولا نذهب بعيدا ؛ فالأفكار والدعوات لهي في أمَسِّ الحاجة إلى مَن يجيد عَرضَها، ويُحسِن التعريف بها، ويقْدر على حمل الناس على قبولها واعتناقها، والتفاعل مع مبادئها وقضاياها.

إن جمالَ الدعوة، وسموَّ مبادئها، وعظمةَ أفكارها، ونُبلَ أهدافِها ومقاصدِها، لا يكفي- وحْدَه- لأن يبعث فيها عناصر القوة، ويُوجِد في كيانها الحياة والنشاط، ويحقق لها التأثير المأمول، والانتشار المطلوب، بل لا بدّ مع هذا مِن وجود الداعية الماهر الحاذق، الذي تتحقق فيه مقومات

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الداعية ومؤهلاته، كيما يستطيعَ الوصولَ إلى التأثير في الناس وكسبِهم لصالح دعوته، وإشراكِهم في خيرها، باعتناقها وتطبيق مبادئها .

وإن مطالعة تاريخ الدعوات والمذاهب- عموما- يؤكد على أهمية دور الداعية وخطورة موقعه، وشدة تأثيره، فيما يتعلق بانتشار الدعوة أو المذهب.

وفي تاريخ الدعوة الإسلامية- خصوصا- مواقف كثيرة تدلل بوضوح على أن الداعية الماهر الحصيف له دور فاعل، وتأثير قوي في انتشار الإسلام، واستمالةِ الناس نحو مبادئه، فبالإضافة إلى موقف جعفر وغيره من الأمثلة ؛ تجدر الإشارة إلى ما كان من أمر وحال مصعب بن عمير ﷺ في قيامه بالدعوة إلى الإسلام في المدينة المنورة- على ساكنها الصلاة والسلام؛ حيث كان لمهارته ﷺ في الدعوة أثر كبير في نشر الإسلام، واعتناق الكثيرين مِن أهل المدينة لهذا الدين العظيم، حتى دخل الإسلامُ معظمَ بيوت المدينة، إن لم يكن جميعَها .

وخلاصة القول أن موقع الداعية في الدعوة موقعٌ خطير، وأنه العنصرُ الفعّال والمؤثر في إنجاح الدعوة وازدهارِها، والتمكينِ لها .

الدعوات الهدامة وأثرُ دعاتها في نشرها :

وإننا لنجد بعض الدعوات الهدامة قد لاقت رواجا وانتشارا في وقت ما، لأسباب معينة، كان مِن أبرزها، أو في مقدمتها وجود دعاة لتلك الدعوات ذوي مهارات متميزة، وقدرةٍ ملحوظة على الإقناع والتأثير في عموم الناس، الأمر الذي يستميلهم نحو ما يدعون إليه .

ومِن الأمثلة على هذا ؛ الدورُ الكبير والأثرُ الذي أحدثتْه «قُرّةُ العين»(١)

(1) اسمها الحقيقيُّ "أم سلمى"، وُلدت في قزوين سنة ١٢٣١ أو ١٢٣٣ أو ١٢٣٥هـ للمُلاّ محمد=

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في نشر نِحْلة "البابية" الهدامة، تلك النِّحْلة التي زعم أصحابُها أنها ناسخةٌ للإسلام ورافعةٌ لأحكامه، حيث كانت «قُرّةُ العين» هذه تحاور وتناظر، وتخطب وتجادل، مبشّرة بالدين الجديد (المزعوم)، «إذْ كانت خطيبةً مؤثّرةً، أديبةً فصيحةَ اللسان، فضلا عن أنها كانت جميلةً جذابة»(١).

يقول السير «فرانس يونج»: وما كان لأحد تأثيرٌ ونفوذٌ في البابيين مثلما كان لشاعرة قزوين "قرة العين" الطاهرة .

وقال «إدوارد براون» مؤرخهم وداعيتُهم: إن الشخصية الجذّابة الخلاّبة لأنظارنا، غير "الباب" الشيرازي، هي الجميلة الذكية التي وُهِبت حظا وافرا مِن الحسن والذكاء والفطنة، قرة العين التي كانت شاعرة وعالمة وخطيبة..»(٢).

وفي رجب مِن سنة ١٢٦٤هـ اجتمعت مع زعماء البابية في مؤتمر "بيدشت"، وكانت خطيبةَ القوم، ومحرِّضةَ الأتباع على الخروج في مظاهرات احتجاج على اعتقال "الباب"، وفيه أعلنت نسخَ الشريعة الإسلامية(٣) .

=صالح القزويني، أحدِ علماءِ الشيعة، ودرَست عليه العلوم، ثم رافقت "الباب" في الدراسة عند "كاظم الرشتي" بكربلاء، حتى قيل إنها مهندسة أفكاره، وكانت إباحية فاجرة، طلّقها زوجُها وتبرّأ منها أولادُها، اشتركت في مؤامرة قتل "الشاه ناصر الدين القاجاري"، فقُبِض عليها، وحُكِم بأن تُحرَق حيّة، لكنّ الجلاّد خنقها قبل أن تُحرَق، في أول ذي القعدة ١٢٦٨هـ ١٨٥٢م . الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصِرة . إشراف وتخطيط د/ مانع بن حماد الجهني ١/ ٤١٣ . الندوة العالمية للشباب الإسلامي . الرياض . ط الثالثة ١٤١٨هـ .

(1) السابق . نفس الموضع .

(2) قراءة في وثائق البهائية . د/ عائشة عبد الرحمن . ص ٤٤ . مركز الأهرام للترجمة والنشر . القاهرة . ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

(3) الموسوعة الميسرة ١/ ٤١٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حاجة الدعوة اليوم إلى الدعاة النابغين :

إن مما تعانيه الدعوة الإسلامية اليوم الافتقارَ إلى العدد الكافي من الدعاة المجيدين النابغين، في كثير من الأحيان والبلدان، في زمننا هذا الذي يشهد نشاطا محموما للدعوات الباطلة ودعاتها، وجهودا جبارة للصدّ عن سبيل الله، وابتغائها عوجا .

إن الحاجة الآن ملحّة إلى توفر الدعاة الماهرين الواعين، «الذين ينطلقون في أقطار العالم الإسلامي ليرأبوا صدعه، ويجمعوا شمله، ويمسكوه ويبصِّروه لغايته، ويتعهدوا مسيره، ويقوِّموا عوجه، ويذودوا عنه كيد الخصوم، ومكر الأعداء، وعبث الجهال، وسفه المفتونين .

الإسلام أحوج الأديان الآن إلى من يتعلمه على حقيقته النازلة من رب العالمين، ثم يكرس حياته لإنعاش المسلمين به، بعد ما سقطوا في غيبوبة طويلة، عِلّتها الأولى والأخيرة الجهل الطامس البليد .

الإسلام أحوج الأديان الآن إلى الدعاة الذين يغسلون عنه ما التصق به من خرافات، ويُقْصُون من طريقه الحواجزَ التي شعّبت أهله، وقسمتهم طوائف ومذاهب ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الروم]»[1].

إن الدعوة الإسلاميةَ في أمسِّ الحاجة إلى الفرسان النجباء، والدعاة العلماء، ذوي القدرات العالية، في زمن كثر فيه الأدعياء، وأطلّت برأسها الفتن، واستشرى الفساد، وتحركت فيه الجبهات المعادية للإسلام- داخليا وخارجيا- للنيل منه ومن أتباعه، على نحو قَلّ أن يكون له نظير سابق، حتى كادوا أن يجتالوا الناس عن دينهم بزخرف القول، وفنون الخداع

(1) مع الله . محمد الغزالي . ص ٨- ٩ . دار الكتب الإسلامية . القاهرة . ط الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتزيين الباطل، وتشويه الحق، وترهيبٍ وترغيبٍ، ومكرٍ بالليل والنهار، مستخدمين في هذا كلِّه وسائلَ جبارةً عاتيةً، أنتجتْها الحضارةُ المادية الجاهلية الحديثة .

الفائدة الثالثة: ضرورة العمل لتحقيق الإعداد المتكامل للدعاة:

وإذا كان للداعية تلك الأهميةُ البالغة، والمكانةُ الخطيرةُ في المجال الدعويّ؛ فإن على مؤسسات وعلماء الدعوة الإسلامية في العالم الإسلاميِّ أن يبذلوا أقصى ما في وسعهم من أجل إعداد الدعاة إعدادا متكاملا، يؤهلهم لأن يكونوا على المستوى الذي نتطلع إليه من النبوغ والمهارة، والإتقان في فنّ الدعوة إلى الله تعالى، والذي يتناسب مع خطورة المهمة، وثقل الأمانة التي تناط بهم .

وهنا يتوجب على مؤسسات وعلماء الدعوة الاهتمام الكبير بالتخطيط الجيد الواعي لسياسة ومنهج إعداد الدعاة، بدءًا بالانتقاء، ومرورا بالتأهيل والتوجيه، ثم التوظيف .

فعلى مؤسسات الدعوة أن تحرص على انتقاء مَن يلتحقون بمدارس أو معاهد الدعوة، وفق أسسٍ وضوابطَ أو معاييرَ مدروسة، تضمن تخريج دعاة عامِلين عامِلين، يحملون الدعوة لا أن تحملهم هي، ويضحّون في سبيلها، لا أن يكونوا عليها حِملا وهمًّا .

وكذلك ينبغي الاهتمام بإعداد الداعية نفسيًّا، بأن يكون مُقبِلا على الاشتغال بالدعوة برغبة، ومتقبلا لهذا العمل الجليل برضا .

ثم إعداده علميًّا بأن يكون لديه الخلفية العلمية الفكرية التي تجعله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قادرا على القيام بدوره الدعويّ العلميّ التربويّ .

ثم إعداده خلقيًّا بأن يكون قدوة ومَثلا صالحا، ونموذجا عمليًّا مُشْرِقا ومُشَرِّفا، لما يدعو إليه من مبادئ .

ثم بعد هذا كله التوظيف السليم، بوضع الشخص المناسب في المكان والعمل المناسبين .

وأخيرا فإن على الداعية ذاتِه واجبا تجاه نفسِه، فعليه أن يتفقّد مواطن الضعف لديه، فيعْمَدَ إلى تقويتها، وليحرص دائما على الارتقاء بنفسه، والنهوضِ بها، ليكون في مستوى طيب، وحالٍ جيدة باستمرار، فإن كان يستشعر- مثَلا- نقصا علميا أو ضعفا ثقافيا، فإن عليه أن يتجه لإنماء ثروته العلمية، وتوسيع وتقوية حصيلته الثقافية والمعرفية، وأن يطور نفسه، حتى يثق الناس في علمه، ويحظى باحترامهم وتقديرهم له، ومن ثم ينطلق لدعوتهم على بصيرة، وكذلك لو كان الداعية يجد في نفسه ضعفا فنيا، وقصورا في فقه الدعوة وطرق تبليغها ؛ فإن عليه أن يسارع بمعالجة هذا الضعف، وتدارك ما يكون قد فاته .. وهكذا .

وهناك وسائل كثيرة يمكنه أن يأخذ بها ليتوصل إلى الارتقاء بنفسه، ويقترب من الكمال، ويشارف حدّ الصواب، ومنها- على سبيل المثال- التعلم والتحصيل من الكتب وغيرها، وكذلك الاقتداء بالدعاة الكبار الذين أثْرَوا حقل الدعوة، وتركوا بصمات واضحة، ومعالم يُهتدَى بها، وهم- والحمد لله- كُثر عبر تاريخ الدعوة الإسلامية، وليكثر من المطالعة في سيرهم وأخبارهم، فإنه واجدٌ فيها زادًا نافعا إن شاء الله.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن الوسائل كذلك مصاحبة أهل العلم والصلاح، فهؤلاء سوف يخلصون له النصح، وسوف يجد منهم عونا على تدارك أخطائه، والارتقاء بحاله.

وهناك وسائل كثيرة لا يعْدِمها إذا طلبها من مظانها في كتب الدعوة التي ألفها شيوخنا وأساتذتنا- جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا- وهي والحمد لله منشورة، وتزخَر بها المكتبات، وقبل هذا وبعده ؛ عليه الاستعانةُ بالله تعالى وسؤالُه التوفيقُ والسداد، فإنه سبحانه معينٌ لمن استعان به، وموفِّقٌ لمن سأله التوفيق، وناصرٌ لمن استنصر به ولجأ إلى حماه .

الفائدة الرابعة: الابتلاءات من سنن الله في الدعوات وأصحابها:

لقد أحاط الابتلاءُ بجعفرٍ وأصحابِه- رضي الله عنهم- منذ خروجِهم من أرض الوطن، حتى وطِئت أقدامُهم أرض المهجَر، وسكنت أجسامهم بلاد الغُربة، وكان من صور هذا الابتلاء :

ـ ما إن وصلوا أرض الحبشة حتى لاحقتهم قريش، وهي مصرة على اقتلاعهم من مأمنهم، وتعريضهم من جديد للفتنة في مكة .

ـ وما كادت هذه المحنة تنجلي، حتى ابتُلُوا بتهديدٍ جديد لوجودهم في الحبشة، حيث خرج على النجاشيّ رجلٌ ينازعه المُلك، ما اضطرّهم إلى الخروج إلى عُرْض البحر، وترقُّب الأمر وما عسى أن تُسفر عنه الأحداث.

ـ ثم إنه ما كاد هذا الابتلاء ينكشف حتى أرسلتْ قريش مرّة أخرى في طلبهم، وذلك بعد غزوة بدر، طمعا منها في استردادهم وأخْذِهم إلى مكة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لقتلهم، ثأرًا بمن قُتِل من الكفار في بدر .

ـ وأُضيف إلى ما سبق ابتلاءٌ آخرُ حدث في أثناء إقامتهم في الحبشة، وهو محاولة الأحباش الخروجَ على النجاشيّ لأنه ترك دينهم، وقد تخلّص من هذا المأزق بالتعريض- كما سبق أن ذكرنا هذا عند ترجمة النجاشيّ رضي الله عنه.

وهكذا تتابعت المحن والابتلاءات على جعفرٍ ومَن معه، فكان حالهم كما قال تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران]، ولم يُثْنِهم هذا عن التفكير والتخطيط لمصلحة الدعوة، ومواجهة مكر الأعداء بصبر وعزيمة وثبات، ورضا بقدَر الله، حتى مكّن الله لهم وأظْفرهم، وخيّب سعي أعدائهم، وأحبط كيدهم .

إن مِن سنن الله تعالى أنه يبتلي عباده في هذه الحياة، وإن للسائرين على طريق الدعوة إلى الله نصيبا محتوما من هذه السُّنّة الربانية، التي اقتضت حكمته سبحانه أن تكون ماضية في أصحاب الدعوات، وهذا أمرٌ واضح من خلال النظر في تاريخ الدعوة الإسلامية، منذ مسيرة الدعوة إلى الله على يد الأنبياء والرسل وتابعيهم بإحسان، حتى يوم الناس هذا، فعلى الدعاة أن يُوطِّنوا أنفسهم ويُهيِّئوها لِتقبّل هذا الأمر والتعامل معه .

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت] .

وقال سبحانه: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوٓا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران] .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول صاحب الظلال- رحمه الله- في تفسيره حول هذه الآية:

إنها سُنّة العقائد والدعوات، لا بد من بلاء، ولا بد من أذى في الأموال والأنفس، ولا بد من صبر ومقاومة واعتزام، إنه الطريق إلى الجنة، وقد حُفّت الجنة بالمكاره، بينما حُفّت النار بالشهوات .

ذلك.. ليثبُت على هذه الدعوة أصلبُ أصحابها عودا، فهؤلاء هم الذين يصلحون لحملها إذن والصبر عليها، فهم عليها مؤتمنون، وذلك لكي تَعِزّ هذه الدعوة عليهم وتغلو، بقدر ما يصيبهم في سبيلها من عنت وبلاء، وبقدر ما يضحون في سبيلها من عزيز وغالٍ، فلا يفرّطون فيها بعد ذلك، مهما تكن الأحوال .

وذلك لكي يصلب عود الدعوة والدعاة، فالمقاومة هي التي تستثير القوى الكامنة، وتنميها وتجمعها وتوجهها، والدعوة الجديدة في حاجة إلى استثارة هذه القوى لتتأصل جذورها وتتعمق، وتتصل بالتربة الخصبة الغنية في أعماق الفطرة..

وذلك لكي يعرف أصحاب الدعوة حقيقتَهم هم أنفسهم، وهم يزاولون الحياة والجهاد مزاولة عملية واقعية، ويعرفون حقيقة النفس البشرية وخباياها، وحقيقة الجماعات والمجتمعات، وهم يرون كيف تصطرع مبادئ دعوتهم مع الشهوات في أنفسهم وفي أنفس الناس، ويعرفون مداخل الشيطان إلى هذه النفوس، ومزالق الطريق، ومسارب الضلال.

ثم.. لكي يشعر المعارضون لها في النهاية أنه لا بد فيها من خير، ولا بد فيها من سر يجعل أصحابها يلاقون في سبيلها ما يلاقون وهم صامدون،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فعندئذ قد ينقلب المعارضون لها إليها.. أفواجا.. في نهاية المطاف!

إنها سنة الدعوات، وما يصبر على ما فيها من مشقة، ويحافظ في ثنايا الصراع المرير على تقوى الله، فلا يشط فيعتدي وهو يرد الاعتداء، ولا ييأس من رحمة الله ويقطع أمله في نصره وهو يعاني الشدائد.. ما يصبر على ذلك كله إلا أولو العزم الأقوياء: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾..

ويبقى هذا التوجيه القرآني رصيدا للجماعة المسلمة كلما همت أن تتحرك بهذه العقيدة، وأن تحاول تحقيق منهج الله في الأرض، فتجمعت عليها وسائل الكيد والفتنة، ووسائل الدعاية الحديثة، لتشويه أهدافها، وتمزيق أوصالها.. يبقى هذا التوجيه القرآني حاضرا يجلو لأبصارها طبيعة هذه الدعوة، وطبيعة طريقها، وطبيعة أعدائها الراصدين لها في الطريق، ويبث في قلبها الطمأنينة لكل ما تلقاه من وعد الله ذاك، فتعرف حين تتناوشها الذئاب بالأذى، وحين تعوي حولها بالدعاية، وحين يصيبها الابتلاء والفتنة.. أنها سائرة في الطريق، وأنها ترى معالم الطريق. ومن ثم تستبشر بالابتلاء والأذى والفتنة والادعاء الباطل عليها وإسماعها ما يكره وما يؤذي.. تستبشر بهذا كله لأنها تستيقن منه أنها ماضية في الطريق التي وصفها الله لها من قبل، وتستيقن أن الصبر والتقوى هما زاد الطريق، ويبطل عندها الكيد والبلبلة ويصغر عندها الابتلاء والأذى، وتمضي في طريقها الموعود، إلى الأمل المنشود.. في صبر وفي تقوى.. وفي عزم أكيد(١).

(1) في ظلال القرآن ١/ ٥٣٩ – ٥٤١ باختصار .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وإن على الدعاة ألا ينسوا وهم في غمرة الابتلاء، والصراع مع الباطل وسدنته أنّ العاقبة الحسنى في النهاية لأهل الحق، والدعاة إليه، مهما أظلم ليل المحن، وطال أمد الابتلاء، وصدق الله القائل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر] ، فعليهم ألا يفقدوا الأمل في النصر، وألا يتسرّب اليأس إلى نفوسهم، فلْيَمضوا متوكِّلين على الله، مستعينين به، مجتهدين في العمل للدين والدعوة، دون عجز أو قصور، أو تراجع وتخاذل، ومع هذا عليهم أن يأخذوا بالأسباب المشروعة الممكنة لدفع الابتلاء، إن كان لذلك من سبيل .

الفائدة الخامسة: خطورة حرب الكلمة :

ومن خلال المواجهة بين جعفر بن أبي طالب ورسولَيْ قريش في الحبشة، تبرز خطورةُ حرب الكلمة في الصراع بين الحق والباطل، وأثرُ هذا السلاحِ في إحراز النصر، وتحقيقِ مكاسب هامة، وأنه لا يقل أهمية وخطورة عن السلاح العسكريّ المادّيّ، إن لم يكن يفوقه .

لقد حرصت قريش- كما هو شأن خصوم الدعوة في كل زمان ومكان- على أن تكسِب بالفكر والكلام ما عجزت عن كسبه بالقوة الماديّة، فخططت لحرب فكريّة قذرة ؛ في أهدافها ومضمونها ومنهجها، فعمد رسولاها إلى محاولة التأثير على النجاشيّ واستمالتِه برسالة ذات مضمون فكريٍّ مضلِّل، وفي ذات الوقت معَدّة بعناية فائقة، ولم تكن- على ما يبدو- عشوائية، حتى كاد أن يتحقق لهما ولقومهما ما أرادوا، لولا أن وُفِّق جعفرٌ لمواجهة هذه الحرب الفكرية بحرب من نفس النوع، فدحَض تزييف الباطل بحجة الحق، وأثَّرَ بقوة منطقه، وصِدْق لهجته، وبراعةِ أسلوبه،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وحكمتِه، وما يملكه من أسانيد وحقائق ثابتة لا يُمكن إنكارها، على موقف الخصم، وجعَلَ الأمورَ تسير لصالح دعوة الحق وأهلها.

إن مصطلح «حرب الكلمة» هنا يعني ما يعنيه مصطلح «الغزو الفكريّ»، الذي شاع استعماله في الدراسات الحديثة، حيث إنه يعتمد بدرجة أساسية على الفكرة، والكلمة، والرأْي، والشبهة، وبراعة المنطق، ونحو هذا مما يَعنِي محاربةَ الخصم ومحاولةَ القضاء عليه بغير الطرق العسكرية.

وحرب الكلمة، أو الغزو الفكريّ «سلاح قديم، مُورِس منذ أقدم عصور التاريخ، واستُخدِم في الصراع بين الأمم، والتنافس بين الشعوب، وكان جنبا إلى جنْب مع الأسلحة العسكرية .

وكشأن أيّ سلاح يخضع للتطوير والتعديل والتحسين، لمحاولة رفع كفاءته، ومستوى أدائه لمهمته، كذلك كان الغزو الفكريّ- ولا يزال- سلاحا يخضع للتطوير والتعديل، وإدخال التحسينات اللازمة عليه من قِبل خصوم الإسلام، ليسهم في القيام بالدور المطلوب، وتحقيق أهدافهم ضد الإسلام وأهله، وليحقق لهم أكبر الأرباح بأقل التكاليف، وأحيانا بدون تكاليف .

ثم إن الغزو الفكري في ظل حضارة أوربا المادية الحديثة؛ قد انتقل إلى طور جديد خبيث، إذ استخدُمت فيه كافة ما وصل إليه العلم الحديث من تقنيات، وما أنتجته هذه الحضارة المادية اللادينية من وسائل لخدمته، وسُخِّرت أجهزة رهيبة عاتية من أجله، حتى غدا هذا السلاح الخطير الآن فنًّا دقيقا مستقلا برأسه، يشكل تحديا خطيرا لعالم الإسلام، ركَّزت عليه وبرعت فيه أوربا، وأغراها بالمضيِّ قدما ما حققته من غلب على العالم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الإسلامي في هذه الحقبة، وهي تريد أن تكتب علينا هزيمة الأبد»[١].

ولذلك فإن على جميع المسلمين أن يقفوا وقفة يقظة، ويهبّوا جميعا لمواجهة هذا الخطر الماحق، وتلك الحرب الضروس، التي تريد أن تَذَرنا أمواتا غير أحياء، وإن الدعوة الإسلامية- مُمَثَّلة في علمائها ومؤسساتها- يُنتظَر منها أن تسهم بنصيب كبير في مواجهة هذه الحرب المريرة، التي يركِّز عليها الخصوم اليوم أكثر من أيِّ وقت مضى، فيكون لها جهود متواصلة في توعية المسلمين وتبصيرهم بخطورة الغزو الفكري أو حرب الكلمة، ونشر حقائق الإسلام في مواجهة أباطيل خصومه، والأهم من هذا أن يُؤهَّل الدعاة اليوم تأهيلا رفيعا، يمكِّنهم من مجابهة هذا الغزو بالمستوى المطلوب؛ فهْمًا لحقيقته وأهدافه، وقدرةً على تفنيد طروحاته، وبراعةً في العرضِ والأداء، ومخاطبةِ كافة المستويات والقطاعات[٢].

الفائدة السادسة: ضرورة التخطيط :

لقد مر بنا أن قريشا أرسلت مِن بين مَن بعثتْهم إلى النجاشيّ ؛ عمرَو ابنَ العاص، وغيرُ خافٍ صفاتُ عمروٍ التي تؤهِّله لمثل تلك المهمة .

ومرّ بنا كذلك أنها قد زوّدتْ عمروًا ومَن معه بهدايا إلى النجاشيّ وبطارقته فرْدا فرْدا .

---

(1) الغزو الفكريّ.. التحدّي والمواجهة. للمؤلف، ص ٥ – ٦ . دار الكلمة. المنصورة . ط الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

(2) يُراجع : المرجع السابق . ص ٢٣٩ وما بعدها . ففيه تصوّر- بشيء من التفصيل- لكيفية مواجهة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، حيث يتكلم عن دور كلٍّ من الأسرة المسلمة، والحكومات الإسلامية، والدعوة الإسلامية، ثم دور المسلمين عامة في المجتمع المسلم في مواجهة هذه الحرب الفكرية .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأنها قد اختارت نوعا معيَّنا من الهدايا وهو الأَدَم (أي الجلـود) حيـث كان يُعجِب أهلَ الحبشة وملِكَهم .

وأنها رسمت لرسـوليها كيف يتصرّفان في توزيع الهدايا .

وماذا يطلبان من البطارقة أن يقولـوه إذا كلّـم عمـروٌ النجـاشيّ في أمـر المسلمين.

ومتى يفعلون ذلك.. وهكذا .

فهل تمّ هذا كلّه من جانب قريش بعشوائية، أم أنه تـم بدراسـة واعيـة، وتخطيط محكَم ؟

لا شك أن الأمر قد تدارستْه قـريش بعنايـة، وخطّطـتْ لـه بدقـة، حتـى خرج على نحو ما أشرنا .

وفي مقابل هذا لم يكن جعفرٌ ومَن معه مِن المسلمين في غفلـة عـن سـير الأحـداث ومجرياتهـا عـلى الطبيعـة، بـل كـانوا عـلى مـستوى المـسؤولية والحدث، فقابلوا تخطيط قريش، ومكْرَ وتـآمرَ رسـوليْها بتخطـيط كـذلك، حتى كان ما حدث مِن نتائج ومكاسب خطيرة للدعوة وأهلهـا، ولا يفِـلُّ الحديدَ إلا الحديدُ .

ومِـن مظـاهر تخطـيط المـسلمين وتـدبير أمـرهم إذْ ذاك ؛ أن عمـرو بـن العاص عندما قال للنجاشيّ بأن المسلمين يخالفونك في أمر عيسى ابن مـريم وأمه، وأرسل إليهم النجاشيُّ ليسألهم عما يقولون في هذه المسألة، اجتمعـوا وتشاورا فيما بينهم، وتدارسـوا الأمـر- حيـث كانـت نازلـةً عـصيبةً- ومـاذا سيقولونه للنجاشيّ، وخرجوا برأْي واحد استقرُّوا عليه، بعد تقليب الفكر والنظر، وهو أنهم يقولون في عيسى عليه الصلاة والـسلام وأمِّـه- رضي الله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عنها- ما قاله الله تعالى، وما جاء به نبيُّهم ﷺ، كائنا في ذلك ما هو كائن، والله حسبهم وكافيهم، وقد حدث هذا، وصدع به جعفر أمام النجاشيّ والحاضرين .

وعموما فإن النتائج العظيمة التي حققتها الدعوة في الحبشة ؛ لَتَدُلّ دلالة واضحة على أن ما حدث ما كان يتمّ إلا بالأخذ بالأسباب، والذي كان من أبرز مظاهره ذلك التخطيط العبقريّ، والتنفيذ البارع، من جانب جعفر والمسلمين- رضي الله عنهم .

إنّ هذا لَدرس بليغ، وفائدة عظيمة للمسلمين عامة، ولدعاة الإسلام خاصة في عملهم الدعويّ، وفي كل أمورهم، حيث ينبغي أن يعتمدوا على التخطيط لأيّ عمل يقومون به:

فيضعوا له أهدافا .

ويختاروا له المنهج الذي يُؤدّى من خلاله .

ومَن يقوم بالتنفيذ .

وما مقاييس تحقيق الهدف ونجاح العمل .

وما العقبات المتوقّعة، وكيفية التغلّب عليها واجتيازِها.

وكم يحتاج هذا مِن الوقت والجهد والمال .

وهل هناك عمل أوْلى، أم أنّ هذا العمل يُقَدَّم على غيره ..

ونحو هذا مما يتعلَّق بدراسة الأمور، والتخطيط لها على المستوى اللائق، والوجه المطلوب .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عناية أعداء الإسلام بالتخطيط لمحاربته :

إنه لَمن المؤسف أن أعداءَ الإسلام، وخصومَ الدعوة في عصرنا هذا خاصة، يقومون بالتخطيط لمحاربته على أعلى المستويات، وفي أعتى عواصم العالم، وعلى أساس دراساتٍ واسعة ودقيقة، بينما نحن المسلمين دونهم في التخطيط- على الأقل- لدرْء الأخطار عنا، وعن بلادنا، وحاضرنا ومستقبلنا.

إن اليهود- على سبيل المثال- قد خططوا لإقامة دولة لهم على تراب فلسطين المسلمة قبل خمسين عاما من بدء التنفيذ، ثم شرعوا ينفِّذون ما خططوا لأجْله، ثم قاموا بتخطيط آخر، ومِن بعده تخطيط، يتلوه عمل وتنفيذ ومتابعة، فهل نحن كنا على نفس المستوى من التخطيط، والأخْذ بالأسباب؟!

وهناك الحركة التنصيرية في العالم، تعمل وفق تخطيط مدروس، وتنظيم جبار، من أجْل نشر النصرانية في الكرة الأرضية عامة، وفي ربوع العالم الإسلامي خاصة، وتعقد المؤتمرات المحلية والعالمية، وتدرس البيئات التي تستهدفها دراسةً محيطةً شاملةً للتاريخ والجغرافيا، والسكان، والعقائد والأفكار، والمعوِّقات وعوامل النجاح، ثم تقيِّم الجهود، وتُصدِر التوجيهات، وترسم الخطط بناء على هذا كلِّه..

فهل مؤسساتنا الدعويّة- وخاصة الرسمية- في البلدان الإسلامية على هذا المستوى من التخطيط، والتنفيذ، والمتابعة؟!

وخلاصة الأمر أننا نريد التأكيد في هذا المقام على أمرين بالغَي الأهمية والخطورة:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأول: أنّ علينا نحن المسلمين- خاصة الدعاة- أنْ نوقن بأن أعداءنا في حربهم لنا على كافة الجبهات، سياسية كانت أم عسكرية، أم ثقافية وفكرية؛ يعتمدون على التخطيط الدؤوب، وما يتبعه من تنفيذ دقيق، ومتابعة واعية، فلا ينبغي أن نستهين أو نُصغِّر من تخطيطهم، ونقلل من شأنه، فنغفلَ عن رصد تحرّكاتهم والتعامل معها بما يجب أن يكون، فتحلّ بنا الكوارث والفواقر.

الثاني: أنه يجب علينا جميعا- كلٌّ في دائرة اختصاصه ومجال عمله- أن نراجع واقعنا، فنُولِيَ أمر التخطيط ما هو جدير به من الاهتمام والعناية، بحيث لا نكون دون أعدائنا في مستوى تخطيطنا، وخاصة فيما يتعلق بمواجهة مخططات الخصوم وكيد الأعداء، ولنا في رسول الله ﷺ وصحابتِه القدوة الحسنة في هذا الشأن، فقد كان حالهم في الأخذ بالأسباب- ومن مظاهرها اعتماد التخطيط الدقيق- على أعلى المستويات، وكانوا كما قيل: يأخذون بالأسباب كأنهم لا يعرفون التوكلَ على الله، ويتوكلون على الله كأنهم لا يعرفون الأخذَ بالأسباب، ويكفينا هنا أن نشير إلى مهارة التخطيط، ودقة التنفيذ التي رأيناها من الرسول الكريم ﷺ في حادث الهجرة الشريفة من مكةَ المكرّمةِ إلى المدينة المنورة .

الفائدة السابعة: على المؤسسات الدعوية أن تحسِن اختيارَ مَن يمثلها ويتحدث باسمها في المحافل المختلفة :

إننا لا نكون مجاوزين للحقيقة والواقع إذا قلنا بأن الداعية هو سفير دائم لدعوته، وعنوانٌ لها أينما حلّ وأينما ارتحل، وبقدر ما يكون اختيارُه مناسبا للمهمة التي يقوم بها ؛ بقدر ما يتحقق لدعوته النجاح، ويُكتب لها الظفر.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والواقع أننا عندما نتأمّل في شخصية جعفر ﷺ؛ نجد أنه كان نعم السفير للدعوة الإسلامية، ونعم المتحدِّث باسمها أمام النجاشيّ ﷺ، لما كان يتمتع به من سمات ومؤهِّلات- قد أشرنا إليها سابقا- جعلتْه على أعلى درجة من الكفاءة، حتى كان- بحق- الرجلَ المناسبَ في المكان المناسب، الأمر الذي انعكس بالخير على الدعوة وأهلها .

وإذا كانت الدول ومؤسساتها السياسية تحرص على انتقاء من يكون سفيرا دبلوماسيا[1] لها، وأن يكون ذا صفات خاصة، يكون بها مؤهَّلا

---

(1) **السفير هو** : "أعلى مراتب السلك الدبلوماسيّ، وهو رئيس بعثة دبلوماسيّة تُعرَف بالسفارة"، وجاء في المادة الأولى من اتفاقية "فيينا" التي عُقِدت في التاسع عشر من مارس سنة ١٩١٥م، بأن عبارة "رئيس بعثة" (وعادة ما يكون رئيس البعثة بدرجة سفير)، هو الشخص المكلَّف من قبل الحكومة المعتمَدة بالعمل بهذه الصفة. ويقول صلاح المنجد: "السفير شخص كُلِّف المثولَ أمام حكومة أُرسِل إليها ليبقى لديها، ويتكلم باسم مَن أوفده، أو يقضي أمورا مضى لإنجازها وتذليل المصاعب دونها. [الدبلوماسية بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي . أحمد سالم محمد باعمر . ص ٥٢ – ٥٣ بتصرف، وفيه مراجعه التي أخذ عنها . دار النفائس . الأردن ط الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م].

وكلمة (الدبلوماسية) كلمة حديثة، إلا أن مفهومها ومدلولها قديم، وقد قيل: إن لفظة الدبلوماسية مشتقة من اللغة اليونانية من كلمة (دبلوما)، ومعناها الوثيقة المطوية التي تصدر عن شخص مسئول، وتُخوِّل حاملها امتيازات معينة، ولم تدخل هذه اللفظة في المعجم الدولي إلا منذ أواسط القرن السابع عشر الميلادي، وهي قد حلّت محل كلمة المفاوضة، ثم تطور مدلول هذه اللفظة حتى أصبح يشير إلى معان عدة، ومن هذه المعاني معنى يشير إلى انتهاج نهج سياسي في زمن معين، ومعنى آخر يشير إلى لباقة يتحلّى بها شخص ما بالنسبة لعلاقاته مع غيره من أفراد مجتمعه أو غيره، فنقول عن شخص يستوعب الآخرين بلباقته وحسن تعامله: إن فلانا دبلوماسي الطبع والمسلك، ومن المعاني الأخرى معنى يدل على المفاوضات والمراسم التي تهدف حلَّ مشكلة ما عن طريق السلم والود والتفاهم، ومعنى يحمل بجوانبه كلَّ ما ذكرنا آنفا من معان، هذا المعنى يشير إلى أن الدبلوماسية مهنة يمتهنها سياسي بارع، مهمته التوفيق بين مصالح بلده ومصالح البلاد الأخرى المعتمَد لديها، والسير نحو التعامل الأفضل بالنسبة للطرفين، ولعل هذا المعنى هو الذي تصدَّر المعاني الأخرى، وإن كان قد ترك لكل معنى من المعاني التي ذكرناها غير بعيد دوره الذي لا يستهان به . [مواقف نبوية في السياسة والتعامل الدبلوماسي للنبي محمد ﷺ. د/ معينة أحمد قطار. ص ١٦– ١٧ وفيه مراجعه. دار الشواف . الرياض . ط الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، وانظر : الدبلوماسية بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي . ص ٥٧ وما بعدها].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لمهمته، ناجحا فيها[١] ؛ فإن الحرص على هذا فيمن يكون ممثِّلا للدعوة الإسلامية أولى وأوجب .

ولما شرع النبيُّ ﷺ في مكاتبة الملوك والرؤساء في عصره، وعزم على توجيه الدعوة إليهم للدخول في الإسلام «أرسل سفراءه إلى ملوك العرب والعجم، حاملين الرسائل النبوية الشريفة وفي طياتها كلُّ معاني السلام والمودّة والتعايش السِّلْمي، ولقد اصطفى النبي ﷺ لهذه المهمة العظيمة ألْمَعَ السفراء في عهده، المتميزين بالمعرفة والخبرة والعلم والفقه، والأخلاق الحميدة وجمال المظهر والصورة، فنجده يرسل السفير المناسب إلى المكان المناسب»[٢].

ولقد حفل التاريخ الإسلامي بنماذجَ من الدعاة كانوا سفراءَ للحكام في عصورهم، وفي ذات الوقت كانوا دعاة وسفراء ناجحين لدعوتهم، وكانت لهم مواقفُ مشهودةٌ، جديرةٌ بأن تكون مثالا يُحتذَى للدعاة في كل زمان ومكان، وعلى رأسهم سفراءُ النبيِّ ﷺ، ثم الخلفاءِ من بعده في عصور الإسلام الزاهرة .

ومن تلك المواقف الحكيمة موقف الصحابيّ الجليل "حاطب بن أبي بلتعة" رضي الله عنه، حينما أرسله النبي ﷺ إلى "المقوقس" عظيم القبط، «فقد حدث أن "المقوقس" عندما تسلَّم كتابَ النبيِّ ﷺ قرأه، وقال لحاطب: ما منعه إن كان نبيا أن يدعوَ على مَن خالفه، وأخرجه مِن بلده؟ فردّ عليه حاطب بقوله: وما منع عيسى وقد أخذه قومُه ليقتلوه، أن يدعوَ الله

(1) راجع تفصيل الحديث حول هذه الصفات في: الدبلوماسية بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي. ص ١١٧ وما بعدها.

(2) السابق ص ٨٢ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عليهم فيهلِكَهم؟ فقال المقوقس: أحسنْتَ! أنت حكيم جاء من عند حكيم»[١].

ويعدُّ "أبو بكر بنُ الطيبِ الباقلانيُّ" ألمعَ الرسل والمبعوثين أيام الدولة العباسية، اشتهر بعلمه وحُنْكتِه السياسية، لقد اختاره "عضدُ الدولة البويهيُّ" أن يكون مبعوثا له إلى الامبراطور البيزنطي "باسيليوس الثاني"، ومِن ذكاء "الباقلاني" أن ملك الروم سأله: كيف جرى لعائشة- وقصَد توبيخَه؟ فقال: «كما جرى لمريم، وبرّأ الله المرأتين، ولم تأْت عائشة بولد»، فأفحمه ولم يدْرِ جوابا[٢].

إن الدعوة الإسلامية الآن لهي في أمَسِّ الحاجة لأن يمثِّلَها ويتحدّثَ باسمها مَن هو على درجة كبيرة من المهارة، ومستوىً عالٍ من الإجادة والبراعة، وحظٍّ كبير من توافر مقومات وصفات الداعية الناجح لديه، في المحافل المختلفة، ومنها- على سبيل المثال- المؤتمرات، والمحافل الدولية أو الإقليمية أو المحلية، والمناظرات، والندوات، وخاصة تلك التي تأخذ بُعدا إعلاميا كبيرا، ويشارك فيها أطرافٌ ذاتُ توجهات غيرِ إسلامية، كالعلمانيين ونحوهم، ومنها ما نراه حديثا مما يُسمَّى بحوار الحضارات، وغير هذا من المؤتمرات والمنتديات.

الفائدة الثامنة: عدم التفريط في الإيمان أو التنازل عن الثوابت:

إن دين المسلم هو أغلى شيء في الوجود، وأعزُّ عليه من ماله وولده

(1) السابق ص ١٢٠. نقلا عن الطبقات الكبرى ١/ ١٦.
(2) نفس المرجع. ص ١٢١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ووالده والناس أجمعين، وهو نعمة عظيمة لا يمكن التفريط فيها، أو التنازل عنها، أو التراخي في الحفاظ عليها.

ولقد ذاق المسلمون الأوّلون صنوف الأذى والعذاب من خصوم الإسلام ومحاربيه، لا لشيء إلا لتمسكهم بدينهم، ورفضهم التخلِّي عنه، أو التفريطَ في أيّ شيء منه، وكانت هجرة مَن هاجر إلى الحبشة حلقة في سلسلة التضحيات التي بذلها المسلمون للحفاظ على أعظم نعمة أنعم الله بها عليهم، ألا وهي الإيمان والهداية للإسلام .

ولقد ضرب المسلمون في الحبشة المثل الأعلى في التمسك بالدين، وعدم التفريط في ثوابته وقطعيّاته التي يؤمنون بها، وذلك عندما تعرّضوا لموقف عصيب، ومخطط لئيم، خطط له ونسجه عمرو بنُ العاص رسولُ قريش وقتئذ، حيث ذكر للنجاشيّ بأنهم يقولون في مريم وعيسى قولا عظيما، يخالفون به ما يعتقده المِلك، وكانت محنة لم يروْا مثلَها- كما أخبرت بذلك أم سلمة- رضي الله عنها. لكن المسلمين ما كانوا ليرضوا بأيِّ ثمن في مقابل التفريط في ثوابت دينهم، وتجاهلوا كلّ مصلحة لهم، ونسوا أمْنَهم وراحتَهم وحياتَهم، وقدَّموا مصلحة الدين، الذي ما خرجوا إلا لأجْله، وكانت الوقفة الخالدة، والثبات الذي تحلَّوا به في ذلك الامتحان، حيث أعلنوا بكل صراحة ووضوح على لسان خطيبهم والمتحدِّث عنهم؛ جعفرٍ ﷺ، أنهم لن يقولوا في عيسى وأمِّه إلا ما أخبرهم به الله، وجاء به رسوله ﷺ، كائنا في ذلك ما هو كائن، والله حسبهم وكافيهم، وهو نعم المولى ونعم النصير.

ولما دخل جعفرٌ على النجاشيِّ سلّم تسليمَ أهلِ الإيمان، ودخل شامخا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مرفوع الرأس؛ لم يسجد للملك كما كان سائدا إذْ ذاك، ولّما قيل له: لِمَ لا تسجد للملك ؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله.

إن في هذا لدرسا عظيما لكلِّ مسلم عامة وللدعاة خاصة، بعدم التفريط في ثوابت دينهم، أو المساومة بشأنها، مهما كانت المسوِّغات، ومهما كانت الظروف والأحوال، فليس من مصلحة الدعوة ولا الدعاة أن يتنازلوا عن الثوابت، بل لن تجنيَ الدعوة من وراء هذه التنازلات- لو حدثت- سوى الخسارة الفادحة، كما أن مطالب الخصوم بالتنازلات لن تتوقف عند حدٍّ، ولن يرضيَهم إلا الانسلاخُ الكاملُ من الدين بالكلية، وليكن معلوما أن الدين يُضحَّى من أجله، ويُبذَل في سبيله، ولا يُضحَّى به.

نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الحق، وأن يرزقنا السداد في جميع الأعمال، والهدايةَ إلى سواء الصراط.

* * * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الخـــاتمة

أما بعد ؛ فهذا ما وفّقني الله تعالى إليه في هذه الدراسة حول موقف سيدنا جعفر بن أبي طالب وخطبته أمام النجاشي ـ رضي الله عنهما ـ ، ولستُ أدّعي أن ما هُديتُ إليه في هذه الدراسة هو آخر الممكن، أو فصل الخطاب، بل ربما يكون هناك الكثير مما لم أهتدِ إليه، وحسبي أنني لم أدِّخر جهدا في معالجة هذا البحث وإخراجه على النحو اللائق .

ولعلّ الإكثار من الدراسات الدعوية للسيرة النبوية عموما تتيح لنا الوقوف على فوائدَ أعظم، وتطلعنا على الكثير من الأسرار والكنوز التي تتضمنها السيرة العطرة .

ولقد أفدْتُ أنا شخصيا من هذه الدراسة فوائد كثيرة وعديدة .

وأشهد أنني ـ من خلال معايشة ذلك الموقف الكريم ـ قد شعرْت بزيادة محبتي لجعفر والنجاشي ـ رضي الله عنهما ـ أكثر من قبل، ولا شك أن حب الصالحين ـ وهما منهم إن شاء الله ـ مغنم كبير، وربح ثمين، فكيف إذا كانوا من صحابة رسول الله ﷺ ! وإني لأرجو الله تعالى أن يتقبّل مني هذا الحب، وأن يرزقني التأسِّيَ بهما، وأن يحشرني معهما، ويجمعني بهما مع الحبيب ﷺ في الفردوس الأعلى من الجنة .

هذا ؛ وقد عالجَت الدراسةُ أمورا وقضايا دعوية، يمكن إجمالها، وعَرْضُ خلاصتها على النحو التالي:

أولا: عرَّفَت الدراسةُ بشخصية كلٍّ من «جعفر بن أبي طالب» و«أصحمةَ النجاشيِّ» رضي الله عنهما، وأتاحت لنا الاقتراب منهما، والتعرّف عليهما، بالقدر الذي أظهر طِيب معدنيهما، وعُلُوَّ قدْر ومكانة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كلٍّ منهما، وصِدْقَهما ووفاءَهما مع الله، ونحسَب أنهما ـ إن شاء الله ـ من الذين يصدق فيهم قوله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب] .

ثانيا: أوْقفتْنا الدراسة على بعض الجوانب المعرفية الخاصة بموقف جعفر أمام النجاشيّ- رضي الله عنهما- مثل الروايات التي أوردناها بشأن مضمون ذلك الموقف، والتي أضافت معانيَ ومفاهيمَ على قدر كبير من الأهمية، لا سيما رواية عروة بن الزبير في مغازيه، وكذلك أشارت الدراسة إلى بعض الجوانب ذاتِ الصلة الوثيقة بموقف جعفر، مثل الهجرة إلى الحبشة، والتي عبّرْتُ عنها بالسياق التاريخي لموقف جعفر، كما تطرّقت إلى الحديث عن رسوليْ قريش عند النجاشي، والجمع بين الروايات المختلفة بشأن تعيينهما، والردّ على فرية الغرانيق، وفضل المهاجرين إلى الحبشة .

ثالثا: استخلصت الدراسة عددا من صفات الداعية الماهر، الناجح في مهمته الدعوية، مع الحرص على بيان مظهرِ تحقّقِ كلِّ صفةٍ منها في جعفر من خلال موقفه أمام النجاشي، بعيدا عن التكلف في استنباطها، بالإضافة إلى الإشارة إلى أهمية كلِّ واحدةٍ منها للداعية، وضرورةِ تحقّقِه بها، لما لذلك من عظيم الأثر عليه وعلى الدعوة، وقد لاح لي من هذه الصفات عشر: أولها: الإخلاص . وثانيها: التوكّل على الله . وثالثها: العِلْم . وكان لهذا العلم في شخصية جعفر مظاهر، تمثلت في ثلاثة جوانب هي: عِلْمُه بالجاهلية ومبادئها، ثم عِلْمُه بالإسلام وما يتضمنه من عقائد وعبادات وأخلاق، ثم عِلْمُه بفقه الدعوة إلى الله تعالى، وأما رابع الصفات

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهي الجرأة في القيام بالدعوة إلى الله . وخامسها: الحكمة . وسادسها: عفّة اللسان والترفّع عن سوء الخُلُق . وسابعها: الصبر . وثامنها: توافر المقومات الفطرية اللازمة لأداء المهمة الدعوية. وتاسعها: المهارة في فنون تبليغ الإسلام. وعاشرها: ذاتية الحركة والعمل للدعوة. وقد جعلَتْ كلُّ هذه الصفات من جعفر- بعد توفيق الله تعالى- ذلك الداعية الحاذق الماهر، الذي كان له أبلغ الأثر في تحقيق عظيم النفع والربح لدعوته .

رابعا: بيَّنت الدراسة أنّ موقف جعفر أمام النجاشي- رضي الله عنهما- قد عاد بالمنافع العظيمة على الدعوة وأهلها، وأشارت إلى أهم ما تحقق للدعوة والمسلمين إذْ ذاك من ربح، مع إبراز قيمة هذا الربح وأهميته للإسلام وأهله، وقد تمثَّلت تلك المنافع والأرباح في أكثر من أمر، أشارت الدراسة إلى أهمها أو أبرزها، فذكرت خمسة أمور، أولها: فشل خطة قريش لإرجاع المهاجرين . وثانيها: إيجادُ بيئة للمسلمين يأمنون فيها على أنفسهم ودينهم . وثالثها: رِبْحُ النجاشيّ وضمُّه إلى صفّ الدعوة. ورابعها: فتح آفاق إعلامية خارجية للدعوة . وخامسها: إثبات أن المسلمين أصحاب قضية عادلة .

خامسا: بيّنت الدراسة عددا من الفوائد الهامة للدعوة والدعاة، استنباطا من موقف جعفر، مع بيان أهميتها وضرورتها، والحاجة إليها، وقد ذكرت الدراسة من هذه الفوائد ثمانية، الفائدة الأولى: ذاتية الإسلام ودعوته، مع الإشارة إلى عوامل هذه الذاتية . الفائدة الثانية: أهمية الداعية وخطورة موقعه. مع الإشارة إلى أمرين ذوَيْ صلة بهذه الفائدة، وهما: أثَرُ الدُّعاة المنتسبين إلى الدعوات الهدامة ودورهم في نشرها، ثم بيان حاجة الدعوة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الإسلامية اليوم إلى الدعاة النابغين . ثم الفائدة الثالثة وهي: ضرورة العمل لتحقيق الإعداد المتكامل للدعاة . والفائدة الرابعة: هي أن الابتلاءات من سنن الله في الدعوات وأصحابها . ثم الفائدة الخامسة وهي: خطورة حرب الكلمة . ثم الفائدة السادسة وهي: ضرورة التخطيط من جانب القائمين على أمر الدعوة وشئونها . ثم الفائدة السابعة وهي: أنّ على المؤسسات الدعوية أن تُحْسِن اختيار مَن يمثّلها ويتحدّث باسمها في المحافل المختلفة . ثم الفائدة الثامنة وهي: عدم التفريط في الإيمان أو التنازل عن الثوابت .

(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾) [الصافات].

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المراجع

* القرآن الكريم . . سبحان من أنزله .

١ ـ أساس البلاغة . للإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري . بتحقيق عبد الرحيم محمود . دار المعرفة . بيروت .

٢ ـ البداية والنهاية للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير . مكتبة المعارف . بيروت .

٣ ـ تفسير القرآن العظيم . للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي. دار الفكر . بيروت ١٤٠١هـ .

٤ ـ حياة محمد . د/ محمد حسين هيكل . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ط الثالثة عشر .

٥ ـ الخطابة في موكب الدعوة الإسلامية . للمؤلف . دار الكلمة المنصورة . ط الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

٦ ـ الدبلوماسية بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي . أحمد سالم محمد باعمر . دار النفائس . الأردن . ط الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م .

٧ ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة . الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي . تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي . دار الكتب العلمية. بيروت . ط الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٨ ـ روح المعاني . للعلامة السيد محمود الآلوسي البغدادي . دار إحياء التراث العربي . بيروت .

٩ ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام . للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي . تحقيق عبد الرحمن الوكيل . دار الكتب الحديثة . القاهرة .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٠ ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد . للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي . تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض . دار الكتب العلمية . بيروت . ط الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .

١١ ـ سنن أبي داود . للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. ترقيم محيي الدين عبد الحميد . إصدار شركة حرف بالقاهرة . (على قرص كمبيوتر) .

١٢ ـ سنن ابن ماجه . للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني . ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي . إصدار شركة حرف بالقاهرة . (على قرص كمبيوتر) .

١٣ ـ سنن الترمذي . الحافظ أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي. ترقيم أحمد شاكر . إصدار شركة حرف بالقاهرة . (على قرص كمبيوتر) .

١٤ ـ سنن النسائي . ترقيم أبي غدة . إصدار شركة حرف . القاهرة . (على قرص كمبيوتر) .

١٥ـ سير أعلام النبلاء . تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين . مؤسسة الرسالة. بيروت ط الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

١٦ـ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية. د/ مهدي رزق الله أحمد. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . الرياض . ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

١٧ ـ السيرة النبوية لابن هشام . تحقيق مصطفى السقا وزميلَيْه . مؤسسة علوم القرآن . دمشق .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٨ ـ السيرة النبوية الصحيحة . د/ أكرم ضياء العمري . مكتبة العبيكان بالرياض . ط الثالثة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

١٩ ـ صحيح البخاري . بترقيم فتح الباري . إصدار شركة حرف . القاهرة (على قرص كمبيوتر) .

٢٠ ـ صحيح مسلم . ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي . إصدار شركة حرف بالقاهرة . (على قرص كمبيوتر) .

٢١ ـ الطبقات الكبرى . محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري . دار صادر . بيروت .

٢٢ ـ طريق الدعوة في ظلال القرآن . جمع وإعداد أحمد فائز . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط الحادية عشر ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٢٣ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير . تأليف الحافظ أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سَيّد الناس اليعمري . تحقيق د/ محمد الخطراوي، ومحيي الدين مستو . مكتبة دار التراث . المدينة المنورة . ط الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .

٢٤ ـ الغزو الفكريّ .. التحدّي والمواجهة . للمؤلف . دار الكلمة . المنصورة . ط الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

٢٥ ـ فضائل الصحابة . عبد الله بن أحمد بن حنبل . تحقيق وصيّ الله محمد عباس . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

٢٦ ـ فقه السيرة النبوية . منير محمد الغضبان . دار الوفاء . المنصورة . ط الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

٢٧ ـ في ظلال القرآن . سيد قطب . دار الشروق . بيروت . ط العاشرة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٨ ـ قراءة في وثائق البهائية . د/ عائشة عبد الرحمن . مركز الأهرام للترجمة والنشر . القاهرة . ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

٢٩ ـ الكليات . معجم في المصطلحات والفروق اللغوية . لأبي البقاء أيوب ابن موسى الحسيني الكفوي . تحقيق د/ عدنان درويش، محمد المصري. مؤسسة الرسالة . بيروت . ط الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

٣٠ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي . دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

٣١ ـ مختصر منهاج القاصدين . تأليف الإمام أحمد بن قدامة المقدسي. تحقيق محمد وهبي سليمان . المكتبة العصرية . صيدا ـ بيروت ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٣٢ ـ المسند . للإمام أحمد بن حنبل الشيباني . إصدار شركة حرف بالقاهرة (على قرص كمبيوتر) .

٣٣ ـ مع الله . محمد الغزالي . دار الكتب الإسلامية . القاهرة . ط الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

٣٤ ـ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية . عاتق بن غيث البلادي . دار مكة . مكة المكرمة . ط الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

٣٥ ـ معجم مقاييس اللغة . تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي. وضَع حواشيَه إبراهيمُ شمسُ الدين . دار الكتب العلمية. بيروت ط الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

٣٦ ـ المعجم الوسيط . قام بإخراجه د/ إبراهيم أنيس ورفاقه . مجمع اللغة العربية . القاهرة .

٣٧ ـ مغازي رسول الله ﷺ . لعروة بن الزبير . جمعه وحققه وقدم له د/ محمد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مصطفى الأعظمي . منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج . الرياض . ط الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

٣٨ ـ مفردات ألفاظ القرآن . الراغب الأصفهاني . تحقيق صفوان داوودي. دار القلم . دمشق . ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

٣٩ ـ مواقف نبوية في السياسة والتعامل الدبلوماسي للنبي محمد ﷺ . د/ معينة أحمد قطار . دار الشواف . الرياض . ط الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٤٠ ـ الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصِرة . إشراف وتخطيط د/ مانع بن حماد الجهني . الندوة العالمية للشباب الإسلامي. الرياض . ط الثالثة ١٤١٨هـ .

* * * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــــــوع الصفحة

مقدمة ٥

تمهيد: تعريف بجعفر بن أبي طالب والنجاشي رضي الله عنهما ٩

جعفر بن أبي طالب ٩

نسبه ٩

إسلامه وهجرته ٩

من فضائل جعفر رضي الله عنه ١٣

جهاده واستشهاده ١٥

النجـــاشي. ١٨

التعريف به ١٨

قصة تولِّيه الحبشة ١٨

إسلامه وتقدير النبي ﷺ لـــه ٢٠

أثر إسلام النجاشي في الدعوة وأهلها ٢١

من فضائل النجاشي ٢٢

خروج الحبشة عليه ٢٥

شغفه بسماع القرآن الكريم ٢٦

تمسُّكُه بإسلامه وحرصُه على حماية إخوانه المسلمين ٢٧

وفـاته ٢٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الأول

المواجهة بين جعفر بن أبي طالب ورسولي قريش أمام النجاشيّ ٣١

الهـجرة إلى الحبـشة ٣٣

فِريـة «الغرانيق» ٣٧

فضل المهاجرين إلى الحبشة ٤١

رسـولا قريش عند النجـاشيّ ٤٣

موقف جعفر وخطبته في مواجهة رسولَيْ قريش أمام النجاشيّ ٤٥

الرواية الأولى ٤٦

الرواية الثانية ٥١

الرواية الثالثة ٥٢

الفصل الثاني

ملامح الداعية الناجح كما تمثلت في شخصية جعفر ٥٧

أولا: الإخـلاص ٦٠

ثانيا: ثانيا: التوكّل على الله..... ٦٠

ثالثا: العِـلْم ٦٢

الجانب الأول: عِلْمُه بالجاهلية ومبادئها ٦٣

الجانب الثاني: عِلْمُـه بالإسلام وما يتضمنـه مـن عقائـد وعبادات وأخلاق..... ٦٥

الجانب الثالث: عِلْمُه بفقه الدعوة إلى الله تعالى ٦٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رابعا: الجرأة في القيام بالدعوة إلى الله ٦٩
خامسا: الحكمة ٧١
سادسا: عفّة اللسان، والترفّع عن سوء الخُلُق ٧٥
سابعا: الصبر ٧٨
ثامنا: توافر المقومات الفطرية اللازمة لأداء المهمة الدعوية ...٨١
تاسعا: **المهارة في فنون تبليغ الإسلام** ٨٢
عاشرا: ذاتية الحركة والعمل للدعوة ٨٦

الفصل الثالث

أهمُ ما ربِحته الدعوة الإسلامية في الحبشة ٩٣
أولا: فشل خطة قريش لإرجاع المهاجرين ٩٥
ثانيا: إيجادُ بيئة للمسلمين يأمنون فيها على أنفسهم ودينهم ٩٧
ثالثا : رِبْحُ النجاشيّ وضمُّه إلى صفّ الدعوة ١٠٠
رابعا: فتح آفاق إعلامية خارجية للدعوة..... ١٠٣
خامسا: إثبات أن المسلمين أصحاب قضية عادلة ١٠٥

الفصل الرابع

المستفاد من قصة جعفر للدعوة والدعاة ١١١
الفائدة الأولى: ذاتية الإسلام ودعوته ١١٣
عوامل ذاتية الإسلام ١١٣
الفائدة الثانية: أهمية الداعية وخطورة موقعه..... ١١٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الدعوات الهدّامة وأثَرُ دُعاتها في نشرها ١٢٠
حاجة الدعوة اليوم إلى الدعاة النابغين ١٢٢
الفائدة الثالثة: ضرورة العمل لتحقيق الإعداد المتكامل للدعاة ١٢٣
الفائدة الرابعة: الابتلاءات من سنن الله في الدعوات وأصحابها..... ١٢٥
الفائدة الخامسة: خطورة حرب الكلمة ١٢٩
الفائدة السادسة: ضرورة التخطيط ١٣١
عناية أعداء الإسلام بالتخطيط لمحاربته ١٣٤
الفائدة السابعة: على المؤسسات الدعوية أن تحسن اختيار مَن يمثّلها ويتحدّث باسمها في المحافل المختلفة ١٣٥
الفائدة الثامنة: عدم التفريط في الإيمان أو التنازل عن الثوابت..... ١٣٨
الخاتمة.....١٤١
المراجع ١٤٥
فهرس الموضوعات ١٥١

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تعريف بالمؤلف

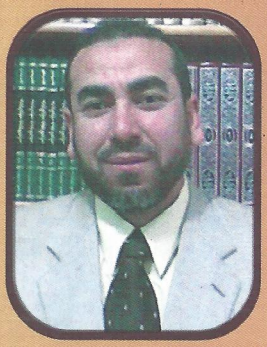

أ.د/ إسماعيل علي محمد علي

أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، جامعة الأزهر

* من مواليد عام ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م في قرية "كفر حماد" ، مركز "كفر صقر"، محافظة الشرقية، مصر.

* حفظ القرآن الكريم، صغيرا، في كُتّاب القرية، ثم التحق بالأزهر الشريف إلى أن تخرّج من كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، عام ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

* نال درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر عام ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

* تدرّج في العمل الأكاديمي الجامعي إلى أن حصل على درجة "أستاذ" عام ٢٠٠٥م، ثم رئيسا لقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة عام ٢٠٠٨م.

* أستاذ في جامعة الأزهر، وفي معاهد إعداد الدعاة بوزارة الأوقاف، والجمعية الشرعية في مصر، كما عمل بالتدريس في كلية الشريعة، جامعة الملك خالد بالسعودية.

* عضو محكّم في اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين بجامعة الأزهر.

* عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة.

* زار بعض الدول مثل أمريكا، ولبنان، والإمارات العربية المتحدة، وشارك في أنشطة دعوية وعلمية فيها، كما أنّ له إسهامات عن طريق الكتابة في الصحف والمجلات، والمواقع الإلكترونية، والفضائيات.

* صدر له عدد من البحوث والمؤلفات، منها:

١. الغزو الفكري.. التحدي والمواجهة.
٢. مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية.
٣. الغزو الفكري في وسائل ثقافة الطفل المسلم.. مظاهره وآثاره.
٤. الخطابة في موكب الدعوة الإسلامية.. (بحوث في إعداد الخطيب الداعية).
٥. الاستشراق بين الحقيقة والتضليل.. (مدخل علمي لدراسة الاستشراق).
٦. مفتريات المستشرقين وعملائهم على الإسلام. [رد على كتاب (محمد واليهود نظرة جديدة)].
٧. أساطير عبد الصبور شاهين حول أبيه آدم. [رد على كتاب (أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة للدكتور عبد الصبور شاهين)].
٨. القدوة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى.
٩. معالم الحياة الراشدة في بلاغ حجة الوداع.
١٠. العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها. ١١. الجذور الفكرية لانحراف الشخصية اليهودية.
١٢. الأخوّة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة عصرية.
١٣. فقه الدعوة في ضوء موقف "جعفر" أمام "النجاشي".
١٤. صور من حقوق الطفل في الإسلام.
١٥. فن كتابة الثقافة الإسلامية للطفل.

مؤسسة شروق للترجمة والنشر
المنصورة - ش جيهان - أمام مستشفى الطوارئ
ت: ٠١٢٢٥٦٨٢٣١٤
shrook.mst@gmail.com
www.facebook.com/darshrook